الطقس الثالث

أغاني جلجامش

الشخصيات

جلجامش

المثّل الأوّل يلعب الرجل الأول، وأنكيدو، ورئيس المحكمة أيضاً.

المثّل الثاني يلعب الرجل الثاني، والملك، وأيضاً التاجر.

المثّل الثالث يلعب الرجل الثالث، والشاعر.

المثّل الرابع يلعب الكاهن، والرجل الرابع.

المثّل الخامس يلعب المهرّج الأول، والمفكّر بلا رأس.

المثّل السادس يلعب المهرّج الثاني، وأمين السرّ.

المثّل السابع يلعب كبير الحرس، والكاهن الأكبر، وأيضاً الرجل.

المثّلة الأولى تلعب المرأة الأولى، والملكة، وأيضاً عشتار.

المثّلة الثانية تلعب الحبيبة.

المثّلة الثالثة تلعب المرأة الثانية، ومومس.

الأغنية الأولى
أغنية الطاعون

(شارات معبد بابلي. الممثّلون في مكان الفعل على خشبة المسرح منذ بداية العرض حتّى نهايته، فليس هناك دخول وخروج للشخصيات، بل هم جمهور وشهود ومتّهمون وكورس المأساة، وهم الأسطورة والواقع في هذه الأغاني. الأكسسوار والملابس موجودة في مكان الفعل. تتغيّر الشخصية بتغيّر دورها وفعلها، وتستخدم كل ما تحتاجه من ضروريات التمثيل بشرطية مختزلة، ويتغيّر الديكور سريعاً بتغيّر المشهد. هناك أيضاً عربة الممثّلين التي تجري فوقها بعض الأحداث الداخلية ومشاهد الفلاش باك. تكشف الإنارة عن الممثّلين جميعهم وهم على عربتهم الجوّالة فرحون بما يؤدّون، إنه فرح الإبداع والخلق. فهم يشكّلون فرقة مسرحية تستضيف الجمهور. إيقاعهم سريع وحركاتهم رشيقة وجميلة يصاحبهم إيقاع الطبول والأبواق. يبدأ كل منهم بارتداء ما يحتاجه من ملابس وأكسسوارات وماكياج أمام الجمهور بسعادة وحركات متقنة تثير الضحك أحياناً. يجب أن يأخذ كل ذلك الوقت الكافي؛ أعني الحركات الكوميدية الساخرة والأفعال الأخرى التي يُضيفها خيال المخرج لضرورتها... إلخ. الممثّل الرابع (الكاهن) لا يشاركهم الآن بل يبقى جامداً في مكانه منذ البدء).

فرقة الممثّلين: (من دون أن يتوقّفوا عن استعدادهم لبدء اللعبة أو المأساة)

ممثّلون جوّالون
نموت في عصر شقي
ونولد دائماً في عصر جديد

لأننا نبحث في الجذور
عن زهور لا تنبت في أوان الفصل.
(يضرب الممثّل الرابع (الكاهن) على آلة الإيقاع التي يحملها وكأنه قائد أوركسترا، فيصعد بعض الممثّلين إلى العربة من جديد بعدما لبسوا الملابس والأدوات التي يحتاجونها ليتحوّلوا إلى دمى وبعد ذلك يجمدون في أماكنهم. يهدأ كل شيء. الممثّل الرابع والمهرّجان يجرّون العربة إيحائياً وكأنهم يجرّون صليبهم).

الممثّل الرابع: ممثّلون جوّالون

(الكاهن) نموت في عصر شقي
فإذا جاء عصر غير عصرنا هذا
سندعو الذين يولدون بعدنا
إلى أن يبحثوا عن زهور لا تنبت في أوان الفصل.
(يضرب على آلته الإيقاعية. تبدأ الشخصيات بالانبعاث من جديد، من الجمود والموت إلى الحياة من خلال الحركة البطيئة والإنارة واللون. تأخذ شخصيات الأغنية الأولى مكانها، وكذلك ما تبقّى من فرقة الممثّلين التي تشكّل الشاهد والمشارك في الفعل، أما جلجامش فينتحي زاويةً ليراقب كل شيء).

الممثّل الرابع: (يهتم بأن تكون شخصيات الأغنية الأولى قد أخذت أماكنها

(الكاهن) بعد الانبعاث ويحثّها على التهيّؤ) ها هم مهرّجو مدينتنا وتعساء عصرنا من الممثّلين ينوحون في المعبد أمام إله الطاعون.
(المهرّج الثاني راكعاً يبكي... نسمع أنينه في الظلام).

الفرقة: أيها الإله

يا ابن السماء

والأرض

والماء.

أيها العظيم

الممثّل السادس: حزين أنا

(المهرّج الثاني) محترق

وحيد،

خائف.

الممثّل الرابع: فاجعل نورك يسقي الحقول

(الكاهن) وفيضك يملأ الدنان.

عروسك زفت في الفجر

للمحنة،

للطاعون،

عروسك أوروك تموت.

(يضرب على آلته الإيقاعية، يجمد كل شيء. يعلن إلى الجمهور)

الممثّل الرابع: (يعلن) الأغنية الأولى

(الكاهن) الإله يوزّع الطاعون على الناس بالتساوي.

الممثّل السادس: أيها اللهيب الناري

(المهرّج الثاني) أيها الإله المقاتل،

احمني فأنا خرقة بالية وسط عاصفة هوجاء

يتحكّم في دفّتها الطاعون.

أيها العظيم، يا من خلقت كل شيء

اسمع صراخي.

الفرقة: أيها العظيم.

الممثّل السادس: أنقذني فأنا وحيد. حزين
(المهرّج الثاني) ليس لي صديق أو حبيب
يبكي موتي.

الفرقة: أيها العظيم

الممثّل الرابع: إنك خلقت كل شيء
(الكاهن) ولك القدرة على موت كل شيء
أنقذنا فالطاعون يطلب القرابين
ويجثم على طرقات المدينة.

الممثّل السادس: أبعد الطاعون عنّي، واجعل جناحَيك سوراً يمنع عنّي أمواج
(المهرّج الثاني) الموت.

الممثّل الخامس: (يدخل متلصّصاً. يحمل وسادة. ينقضّ صارخاً) قف.
(المهرّج الأول) (المهرّج الثاني يرتعب)

الممثّل السادس: أرعبتني
(المهرّج الثاني) ظننت أنك الإله.

الممثّل الخامس: ماذا تفعل؟ لم أتركك سوى لحظة واحدة حتّى عدت إلى
(المهرّج الأول) البكاء والشكوى، ألم أخبرك بأن الطاعون لا يصيبك؟

الممثّل السادس: كيف لا يصيبني؟ وها هو يحصد المدينة منذ زمن، فنشم
(المهرّج الثاني) رائحة الموت بدلاً من رائحة الزهر، حتّى أنكيدو البطل لم
يستطع الوقوف بوجهه.

الممثّل الخامس: كان لا يخاف الموت، فالموت أتاه مسرعاً. إنها حكمة قديمة.
(المهرّج الأول) هيا قم، انهض وضع وسادة الملك في مكانها.

الممثّل السادس: اتركني لحظة واحدة.

(المهرّج الثاني)

الممثّل الخامس: الوقت ليس ملكنا. فالملك سيأتي إلى المعبد بعد قليل ويجب

(المهرّج الأول) أن يجد كل شيء معدّاً كي يستطيع التشاور مع الإله حتّى يخلّصك من الطاعون. أليست هذه رغبتك؟

الممثّل السادس: نعم ولكن (فترة) كلمة واحدة أبثّها للإله لتكون تعويذة

(المهرّج الثاني) تحميني من غضب الطاعون.

الممثّل الخامس: الإله منشغل بتنظيم أمور الكون وتوزيع الطاعون بالتساوي،

(المهرّج الأول) فهل تظن بأنه سيجد الوقت الكافي ليستمع إلى شكواك البليدة؟

الممثّل السادس: إنك كافر جاحد لا تخاف الآلهة.

(المهرّج الثاني)

الممثّل الخامس: كلا وحق الآلهة، فأنا الصادق في كلامي (بقصد) غضب

(المهرّج الأول) الإله هو الذي سلّط علينا الطاعون، ولن يرفعه إلا متى شاء. هذا ما يقوله الكاهن وخادم هذا المعبد.

الممثّل السادس: ومتى يشاء الإله؟

(المهرّج الثاني)

الممثّل الخامس: إنك بليد وحق الآلهة، من يدري... حتّى الملك لا يعرف.

(المهرّج الأول) ألا ترى أنه أمر بعدم دفن جثّة أنكيدو وأمر ابنه جلجامش بالجلوس عند الجثة؟ فعسى أن يرقّ قلب الإله فيرفع الطاعون عن المدينة. والآن قم فسوط الكاهن لا يرحم. قم ضع هذه الوسادة هناك واترك شكواك إلى وقت آخر.

الممثّل السادس: (يأخذ الوسادة ويضعها في مكان مناسب) هنا.

الممثّل الخامس: كلا، في تلك الزاوية.

(المهرّج الأول)

الممثّل السادس: آه. ليتني أستطيع أن أتكلّم مرّة واحدة مع الإله.

(المهرّج الثاني)

الممثّل الخامس: لن تستطيع ذلك إلا إذا كنت كاهناً أو ملكاً. وأنت لا تصلح

(المهرّج الأول) لأن تكون أحدهما.

الممثّل السادس: لماذا؟ الإنسان متنقّل عظيم بين اضطرابات الحياة. فاليوم

(المهرّج الثاني) مهرّج وغداً ملك.

الممثّل الثالث: (يضحك) لم يتقن مهنة التهريج بعد.

(ضحك من الفرقة)

الممثّل الخامس: (إلى الممثّل الثالث) لقد نطقت الصدق (إلى المهرّج الثاني)

(المهرّج الأول) لكنك لست إنساناً ما دمت لا تعي أنك إنسان.

الممثّل السادس: كيف؟

(المهرّج الثاني)

الممثّل الخامس: أنت مهرّج ومهنتك البكاء والضحك...

(المهرّج الأول)

الممثّل الثاني: البكاء على أحزانك والضحك لإدخال السرور إلى قلوب الملوك.

الممثّل الخامس: ولا تصبح إنساناً إلا إذا كففت عن هذا.

(المهرّج الأول)

الممثّل الأول: (يضحك) وإذا تركت هذه المهنة تموت جوعاً.

الممثّل الرابع: أو تموت بالطاعون.

(ضحك متواصل من الفرقة)

الممثل السادس: إني ولدت إنساناً كبقيّة البشر.

(المهرّج الثاني)

الممثل الثالث: ألم أقل لكم بأنه لم يتقن مهنته بعد.

الممثل الخامس: لقد ولدتَ إنساناً، لكنك الآن مهرّج وستموت مهرّجاً.

(المهرّج الأول)

الممثلة الأولى: وكذلك الفحّام يولد إنساناً ويموت فحّاماً.

الممثلة الثانية: إذا لم يتوقّف عن صبغ بشرته كل يوم بغبار الفحم.

الممثل الثاني: والحارس يولد إنساناً ويموت حارساً.

الممثل الأول: إذا لم يكفّ عن إمساك السوط.

الممثل الرابع: والفقير يموت فقيراً.

الممثل الأول: إذا لم يكف عن قبول فقره.

الممثلة الثالثة: وكذلك التاجر والكاهن و...

الممثل الرابع: (بعد أن يضع قناع الكاهن... بغضب) هل تعنين الكاهن

(الكاهن) الذي أمثّل دوره؟

(الفرقة تنسحب بخوف، وكذلك المهرّج الأول. صمت. الكاهن يخرج من المسرح)

الممثل الخامس: (يهمس إلى المهرّج الثاني) وعندما تموت اكتب على

(المهرّج الأول) قبرك.

الممثلة الأولى: ولد إنساناً ومات مهرّجاً (ضحك متواصل).

الممثل السادس: إنك فتحت عيني.

الممثل الخامس: افتح عينيك يا صديقي فالزمن لا يرحم.

(المهرّج الأول)

الممثل السادس: الذي يخيفني، هو ألا أجد صديقاً يأسف على موتي

ويبكيني.

الممثّل الخامس: الأموات يفقدون أنفسهم، والحزن عليهم هو خداع للأحياء.

(المهرّج الأول) فكل شيء يموت يُنسى.

الممثّل السادس: إلا جلجامش، لا ينسى صديقه أنكيدو. يبكيه ويحزن عليه

(المهرّج الثاني) ولا يفارق جثّته ليل نهار.

الممثّل الخامس: انتظر قليلاً سيسأم رائحتها. وسيقوم نافضاً عنه غبار

(المهرّج الأول) الانتظار والبطولة.

الممثّل السادس: هل تشكّ في بطولة جلجامش؟

(المهرّج الثاني)

الممثّل الخامس: إنك مهرّج وحق الإله. ليس أنا الذي أشكّ في بطولته

(المهرّج الأول) (يهمس) إنما هو أيضاً لا يصدق هذه البطولة.

الممثّل السادس: إذاً من الذي قتل الوحش في الغابة؟

(المهرّج الثاني)

الممثّل الخامس: اششش أنا أعرف أسرار هذه المدينة.(حركة قافزة في

(المهرّج الأول) الهواء).

الحبيبة: (نسمع صوتها وهي خارج نطاق الفعل) يا بنات المدينة

أين حبيبي؟

أين الرابض في البرّية؟

إن رأيتن حبيبي

أخبرنه أني أموت اشتياقاً.

الممثّل السادس: انظر إنها متّجهة صوب المعبد. أظنّها تريد الدخول.

(تتحرّك الحبيبة نحو مكان الفعل. الكاهن في إثرها.

يجمدان حتى يحين دورهما).

الممثّل الخامس: الكاهن دائماً في إثرها.

الممثّل السادس: لا أفهمك.

الممثّل الخامس: (هامساً) ستفهمني قريباً. تعال لنختبئ.

الحبيبة: (تدخل مكان الفعل. فتاة جميلة بثوبها المهمل. صمت. تسير مأخوذة وخائفة. تدور في المسرح. تهمس دائماً بشفافية. الفرقة تتكوّم كتلة واحدة) يا حبيبي. قد حان قطاف الكروم وأنت نائم.

تعبٌ أنت أم تراك حزين؟

وحيدة أنا وسط الكروم، والريح تعبث بالثمار.

يا ويلي. أتئنُّ؟

يا ويلي (صمت).

يا أهل المدينة لا توقظوا حبيبي حتّى يشاء.

حتّى يشاء. حتّى يشاء.

إنه يحب الماء والطيب والكروم. (تتعثّر)

آه... اتّسخ ثوبي

يا صبايا. أسرعن أحضرن ثوبي الجديد.

ثوب عرسي

فحين يناديني حبيبي

يأتي صوته طائراً فوق الجبال والوديان.

إنه في كل مكان (صمت).

البرد لعنة، لكن حبيبي النار في الموقد.

أسرعن، فهو يطلبني.

يا حزني (صمت).

لكني أسير في طرقات وعرة.
لا أرى منفذاً،
فهو بعيد عني.
أسرعن. أسرعن
أسرعن.
وقتنا ضيق ونحن نحب التمهّل.
لا نفكر بما سيحمله الشقاء لنا.
هيا أسرعن.
فالقمر بدر وقد حان موعدي.

الفرقة: ماذا تريدين في هذا الليل؟

الحبيبة: خرجت في ضوء القمر أبحث عن حبيبي.
أطلب من تحبّه نفسي وتهواه.
طلبته فما وجدته
أوقفوني في قارعة الطريق
صرخوا بي. أفزعوني
وأيقظوا الفجر في داخلي.
ناديت حبيبي
يا حبيبي. يا حبيبي
تحوّل عني وعبر.
جريت كالظبي والقمر طريقي.
أنادي حبيبي
يا أهل المدينة، هل رأيتم حبيبي؟

الفرقة: (صدى) هل رأيتم حبيبي؟

الحبيبة: هل سمعتم صوته؟

الفرقة: هل سمعتم صوته؟

الحبيبة: (الفرقة تطوّقها وتحاصرها) أمسَكوني. إنهم أشدّاء أقوياء لا يرحمون.

الفرقة: ماذا تفعلين والليل ملك المدينة؟

الحبيبة: حبيبي ينام الساعة تحت الكروم.

الفرقة: اذهبي يا جميلة. فالليل ملك لا يرحم.

الحبيبة: حبيبي يمشي الساعة فوق البحر. أسرعوا فوقتي ضيّق.

الفرقة: (تحاصرها) اذهبي فالليل خدّاع لا يرحم.

الحبيبة: هيا ساعدوني. حبيبي يحب الطيب، والفجر رداؤه. ساعدوني (صمت) وأسفاه (صمت) اسمعوا أنينه (صمت) هل تئنّ في نومك؟ سأجلب لك العطور الطيّبة (صمت) لم يسمعني. تحوّل عنّي وعبر.

الفرقة: اذهبي فالليل لا يرحم.

الحبيبة: حبيبي ينام الساعة تحت الكروم.

(الفرقة تختفي في زوايا المسرح)

الممثّل الرابع: (الكاهن) (يدخل إلى مكان الفعل بهمس ويكون حذراً من الآخرين) أيتها الجميلة.

الحبيبة: (تهمس) إنه يناديني.

الممثّل الرابع: (يتقدّم بحذر من الفرقة) يا جميلتي.

الحبيبة: اسمع (تغنّي بهمس) كانوا سوداً يأكلون كل شيء وينفثون ريحاً كالنار، لا يفرّقون بين البشر...

فالكل للطعام صالح. وحبيبي نام فمتى يستيقظ؟

الممثّل الرابع: يا جميلتي.

الحبيبة: لا تصرخ أرجوك، فحبيبي نائم. تعب هو لا توقظه.

الممثّل الرابع: (بحذر وهو يتلفّت) أنا... أنا أحبّك أيتها الجميلة وأريدك لي. فحبّك يسري في جسدي.

الحبيبة: اسمع (صمت) حبيبي يناديني. هل تسمعه؟

الممثّل الرابع: إنه مات أيتها الجميلة.

الحبيبة: أرجوك قل للحرس أن يسمحوا لي برؤيته.

الممثّل الرابع: مات أنكيدو يا جميلتي، التهمه الطاعون ولا بدّ للموت من أن يلتهمنا في يوم ما. (يشدّ وثاقها بملابسها كما في مشفى المجانين، والفرقة تتحوّل إلى وجوه وأقنعة كبيرة مضاءة تراقب كل ما يحدث) خداع وخداع كل ما يدور حولنا، ونحن نلبس أقنعة في كل يوم ونتزيّن برداء الكذب. لنكن صادقين في لحظة الحب. تعالَي نعيش في زمن غير هذا. ننسى كل آلامنا وكذبنا وخداعنا. فقط نتحسّس الحب ونجعله شمساً تفيض وربيعاً وسط خريف حياتنا. أنتِ فيض يشعّ في داخلي وشمس تُدفىء قلبي.

الحبيبة: قل لهم أن يتركوني أعبر. هم أقوياء ويطوّقونني بسلاسل من نار، وأنا لا أحمل سوى حبّي لحبيبي.

الممثّل الرابع: لقد أحببتك دائماً وازداد حبّي لكِ الآن أكثر. (تتخلّص منه لكنها ما تزال مقيّدة) كوني لي، أمنحكِ الحياة. أقبلكِ كما أنت تهيمين على وجهك في الطرقات ودليلك قدركِ. ساعة واحدة بين يدَيك تعيد إليَّ موت شبابي.

الحبيبة: (بغضب) لا تصرخ.

الممثّل الرابع: مات أنكيدو، أمّا أنا فأحبك.

الحبيبة: من أنتَ؟ وأسفاه. هم كثيرون في هذه المدينة. هل أنتَ أحدهم (تهرب خائفة).

الممثّل الرابع: أنا الكاهن الصغير. الحي والميت في هذه المدينة. نصفي في البحر ونصفي الآخر في البرّ.

الحبيبة: (مختنقة) أخبرهم أن يتركوني أعبر، لأن حبيبي يناديني.

الممثّل الرابع: إن كنت مجنونة فأنا أكثر جنوناً منك (يمسكها وتبدأ حركة الاغتصاب وهي خائفة وتقاوم) اسمعي. سيمنحك الإله فيضاً من نوره، فاخلعي رداء الحياة القاسي وامنحيه جوهر جسدك الزلال. ستسبحين وإياه في بحر من الحب. تتفيّآن في سموات بعيدة، يُذيقك حلو الشهد وتلعقين شفتَيه الورديتَين فيمنحك الحياة. إنه الآن ينظرك بعينَيه الذهبيتَين (يستمرّ في صراعه معها) ها هو يمنحك البركة، فلا تبخلي عليه بجسدك، إنها هديته، وهي غذاء للدود منحها لك فردّيها له الآن.

الفرقة: (تهمس) الليل ملك لا يرحم.

(الكاهن ينتبه، يرميها على الأرض.. الحبيبة منهارة).

الحبيبة: (بفزع وقرف) إنك غليظ القلب، هم يغرزون رماحهم فيَّ وأنت تكبّلني. (صمت) أين أنت يا حبيبي؟ من ينادي حبيبي لي؟ مخلّصي هو (بغضب) هأنذا أرى نيراناً تخرج من الأفواه والعيون، وأرى ثعابين البراري تزحف على هذا المكان. آه إنها الصحراء والجحيم (تغنّي) كثيرون ذهبوا وكثيرون سيذهبون. من المكان الذي أتينا، إليه سنعود، لأننا قساة القلوب (تحاول الهرب والكاهن يلاحقها).

الفرقة: (بهمس) اذهبي فالليل ملك لا يرحم.

الحبيبة: اصرخن معي، فأنا أشمّ رائحته في سعف النخيل، في أهوار البردي، في السهول، والجبال، والوديان.

الممثل الرابع: قفي.

الفرقة: (بهمس) اهربي فالليل خدّاع لا يرحم.

الحبيبة: سأذهب لأن الليل ولّى والحرس ناموا والطرقات خاوية.
هيا يا صبايا أين الزهور؟
أين الزهور. أين الزهور؟
إني قادمة يا حبيبي. إني قادمة. (تخرج مسرعة)

الممثل الرابع: قفي (فترة صمت، يتأمّل المكان، نرى فقط وجوه الفرقة مضاءةً) لقد فقدت كل شيء. في الماضي كانت تستسلم لي والآن تفرّ هاربة. كنت أظن أن موت أنكيدو سيكون نهاية لانتظاري وعذابي. آه إني مجنون حقاً، أنا الكاهن الصغير ومربّي أطفال الملك، وخادم كاهن المعبد الأعظم. مجنون حبّاً (يضحك) متى أكون كاهن المدينة الأعظم بدل هذا الشيخ الهرم الذي يُدير شؤون المعبد بلا بصيرة، لكنه ينال كل شيء يبغي من هذه المدينة. (صمت. مفكّراً) المدينة. المدينة. المدينة مشتعلة ربّما من الطاعون والظرف مؤاتٍ كي أقوم بما أريد. وأكون ما أريد. لأجعل من موطئ أقدامي نيراناً تلتهم كل شيء. (صمت) لكن الزمن... الزمن... هل يمكن أن نخلق الزمن؟ نعم أنا فقط أستطيع أن أجعله زمني. هذا هو العقل في رجاحته. لن تكون هناك فرصة أخرى غير هذه. مثل ما خلقتُ أسطورة جلجامش أستطيع أن أخلق ما أشاء. آه. لو أكون أنا

الكاهن الأعظم. لو أكون أنا... إذاً لوضعت المدينة على راحة يدي، أحرّكها كما أشاء. كيف الوصول إلى هذا؟ كيف؟ كيف؟ هذا ما سيخبرني به زمني.

(نسمع من بعيد أجراس صغيرة)

ظلام

فاصل مسرحي

(ما نزال نسمع أصوات أجراس صغيرة. يتغيّر المشهد. جلجامش ما زال في جلسته. يدخل الملك والملكة إلى مكان الفعل. بعض أعضاء الفرقة كرجال الدولة، لكن بملابس الكهنة والكاهنات. أقنعة. دمى. كرنفال. تشعّ في الجو رائحة البخور. المهرّجان يقدمان الخبز والملح إلى الجمهور. الممثّل الرابع (الكاهن) يدخل دافعاً عربة المُقعدين التي يجلس عليها الممثّل السابع (يمثّل الكاهن الأعظم وهو على شكل دمية). الممثّل الرابع (الكاهن) يبدأ بتعرية الملك كي يقدّم قربانه، و أثناء الاحتفال الطقسي هذا يقوم بجلده وهو عارٍ. الممثّلون في حالة من الهذيان الذي يزداد كلما تقدّم المشهد. نشاهد على المسرح بعض شارات عشتار البابلية، يحرّكها رجال الدولة في الفضاء. هذا المشهد يصبح خلفية لحوار الكاهن الأعظم الآتي)

الممثّل السابع: (الكاهن الدمية) كالقصب في مهبّ الريح ننحني لبلاء الطاعون، فأنت غاضب علينا، وغضبك رأس رمح يشعّ في الشمس فيعمي الأبصار. في كل بيت أمّ تنوح، وفي كل ركن طفل يتعفّن، وعلى كل صخرة، إنسان يسري الطاعون في جسده، وها هو ابنك الملك يتقطّع حزناً على مدينته وقد أمر ابنه جلجامش أن ينوح قرب جثّة صديقه أنكيدو كالأم الثكلى حتّى ينكشف سبب غضبك. اكشف لنا عن وجهك أيها الإله، وتقبّل قربان الملك

(الكاهن الأعظم ينام منهاراً، يزداد الإيقاع فتعمّ الفوضى. ينام الملك عارياً على الدكة).

المهرّج الأول: في عهدنا هذا، هكذا يفعل الإنسان وقت المحنة.

الممثّل الرابع: (أثناء حواره تقوم الفرقة بتغيير الديكور، تتحوّل بحركة سلو موشن. يضع قناع الكاهن) الحكاية عندما تولد لا بدّ من أن تستمرّ وتنمو لتكشف عن سرّ مأساة الإنسان، ومن ثم تدميره أو سعادته. الخراب في الكثير من الأزمان ملازم للبشر، لا يولد معهم، بل هو يخلق من قبلهم ولأجلهم، وحتّى نعرف هذا. لا بد من أن تنتهي أغنيتنا وتليها الأغنية الثانية، أغنية الكشف والتطهير. (يؤشر إلى صاحب الإنارة بإشارة ساحرة من يده...)

ظلام

الأغنية الثانية
أغنية الكشف والتطهير

(جلجامش وهو ما يزال على جلسته في غرفته، ملابسه مهملة، في خلفية المسرح وعلى شاشة كبيرة صورة لأنكيدو وكأنه صقر يهيمن بجناحَيه كأنما مصاب بسهم ناري. الفرقة تتوزّع على المسرح لمشاهدة ما يجري. تظهر لافتة على جانبَي المسرح أو الصالة بعنوان: المهم هو الحيوية وليس الحياة الأبدية).

جلجامش: آه. أي دبيب عذب يضجّ في رأسي،
وأي عذاب يتحمّله هذا القلب.
أيتها الكلمة التي ينطقها الإنسان
بعد صمت وتفكير طويل.
الكلمة التي تحدّد المصير
وتعذّب الروح... آه. لقد بدأ زمني.
(يتحرك المهرّج الأول بهدوء على أطراف قدمَيه نحو المكان الذي يجلس فيه جلجامش)
من هذا الطارق البليد وسط رائحة الجثث؟

الممثّل الخامس: أنا الضاحك والباكي على هذا العصر.

جلجامش: (يضحك) أهو أنت؟

الممثّل الخامس: هل كنت تكلّم نفسك يا سيّدي؟

جلجامش: نعم يا صديقي وإلا سيغلبني النوم الطويل (فترة) أين كنت في زحمة الأيام هذه؟

الممثّل الخامس: أدور حول بابك المغلق راقصاً حيناً. باكياً حيناً آخر دون أن

(المهرّج الأول) أجرؤ على الدخول.

جلجامش: والآخرون أين هم؟

الممثّل الخامس: ثلاثة أيام وهم يحلمون ببركة الإله، منتظرين خروج الملك

(المهرّج الأول) من فراش نومه في المعبد.

جلجامش: إنها النهاية. فعندما يفرش الغباء بساطه على الناس تشعر بأفول حياتك.

الممثّل الخامس: إن الطاعون يا سيّدي الشاب يُفقد الإنسان ملكة العقل.

(المهرّج الأول) (صمت) ألا تخاف الطاعون سيّدي؟

جلجامش: كنت أخافه، أما الآن فإني رأيت الشمس وامتلأتُ بنورها، فلم يعد هناك طاعون يُصيبني.

الممثّل الخامس: (مندهشاً) ماذا تقول يا سيّدي؟ كيف؟

جلجامش: خلال الأيام التي أمضيتها مع جثّة أنكيدو توصّلت إلى أن ما نخافه ونخشاه ليس الطاعون. بل أنفسنا. أنا وأنت والآخرون طاعون هذه المدينة.

الممثّل الخامس: كيف يا سيّدي؟ نحن نتحمّل آلامها دون أن نبكي.

جلجامش: إننا نقف ضدّها، لأننا نقف ضدّ أنفسنا ونخشاها، فهي تطلب الكثير لأنها أعطتنا الكثير. وأمام ويلاتها نختبئ في بيوتنا أو نهرب بعيداً وكأننا نعيش في مكان غير هذا.

الممثّل الخامس: (متردّداً) أنت... هل أنت متعب يا سيّدي.

جلجامش: أرأيت؟ حتى أنت بدأت تلبس وجه المدينة الزائف، وتكون ضدّ نفسك.

(يقفز الممثّل الخامس - المهرّج الأول في الهواء. يضحك

ويبكي بمبالغة كبيرة. يقلّد، ويمثّل مثيراً الضحك والسخرية بين أعضاء الفرقة).

جلجامش: لأنك مهرّج مسكين، فأنت تضيف تعاسة جديدة إلى تعاسات هذه المدينة. كان من الواجب أن تبحث عن نفسك، أن تعطي المدينة ما تطلب وتقول الحقيقة. والحقيقة...

الممثّل الخامس: (مقاطعاً) أن أكفّ عن مهنة التهريج؟

جلجامش: نعم. بهذا فقط تكون إنساناً.

الممثّل الخامس (المهرّج الأول): (يقفز في الهواء) وبهذا فقط أكون ملعوناً من القصر والمعبد، ففي عصر كهذا عليك أن تقبل بكل شيء وإلا أُصبت بالطاعون فهو حاضر في كل زمان.

جلجامش: إنها ليست لعنة يا صديقي، إنما هي اكتشاف ذاتك عندما ترفض.

الممثّل الخامس: أتعرف يا سيّدي بأن الموت قاس، والسوط لا يرحم.

جلجامش: آه يا صديقي، إن ما نبغيه ليس الخلود، إنما وسيلة العيش في هذه الحياة حتّى وإن كان الطريق للوصول إلى هذه الغاية هو الموت ذاته. المهم هو الحيوية وليس الحياة الأبدية. نعم، ليست الحياة الأبدية، فما هذه الحياة التي نعيشها الآن والتي يتحكّم بها كهنة المعبد والقصر والطاعون، إلا كذبة كبيرة وعليك أن تكون خارجها.

الممثّل الخامس (المهرّج الأول): ليس كل ما نبغيه ونريده نقطفه وقت ما نشاء، فالإرادة تتطلّب تحمّلاً لكل الشقاء، وأنا ليس لديّ القدرة لأنني أريد أن أعيش. إنه ضعفنا يا سيّدي.

جلجامش: هذه هي مأساة مدينتنا. لقد عشتُ زمني وأنا لا أعرف ماذا

أريد؟ ماذا أبغي؟ لا أرى الأشياء كما أريدها. سنوات طوال مضت وكل ما يُحيطني يأمرني بالهمس. وتسأل من الذي خلق هذا كلّه؟ لا أحد يعلم. الكلّ يعرف مهنة واحدة: الصمت أو قطع اللسان.

الممثّل الخامس (المهرّج الأول): هذا حق يا سيّدي، لكن لا تنسَ بأن الجلّادين والحرّاس منتشرون في الطرقات يتربّصون بكل شيء يتحرّك حتى الهواء.

جلجامش: نحن الذين منحناهم هذه المهمّة فشوّهنا حياتهم وجعلناهم متمرّسين بمسك السوط. نحن مسؤولون عن كل شيء نراه أمام أعيننا.

الممثّل الخامس (المهرّج الأول): الجلّاد يمتلك ضرورته في زماننا يا سيّدي، فإذا رفضنا مهنة الجلد، فمن الذي يجلد الناس إذا أخطأوا؟

جلجامش: ما زلت مهرّجاً يا صديقي. لماذا يولد الخطأ مع الإنسان؟ والآن وجب عليّ أن أبدأ البحث عن حياتي، فلا أنتظر ما ينطق به المعبد.

الممثّل الخامس (المهرّج الأول): لكن الخوف، هذا الوحش، يحيل أجسادنا قطعاً ثلجية توقف إرادتنا.

جلجامش: جلجامش: لنمنع هذا الخوف، لنوقفه عند حدّه، لنحاربه. لقد جعلوا منّي بطلاً لأنهم بحاجة إليه، فهم يعيشون في خوف دائم، والشيء المحزن هو أن أنكيدو مات دون أن يكتشف دوره وسط هذه المهزلة (يشير إلى جثّة أنكيدو) انظر إلى أنكيدو كيف انتقل من كذبة البطولة إلى رائحة الموت النتنة. أما أنا فأحاول الآن أن أوقف مهزلة البطولة ولعبة الطاعون.

المـمثل الخامس: كيف يا سيّدي؟

جلجامش: جلجامش: سيخبرك زمني.

الحبيبة: (صوتها من بعيد) يا حبيبي قد حان قطاف الثمار.

جلجامش: (إلى المهرّج الأول) والآن عليّ أن أتلقّى السهام النارية.
انتظر لترى.
(تدخل الحبيبة هائجة والكاهن في إثرها. تظلّ مشدوهة وهائمة. تركع أمام جثّة أنكيدو)

المـمثل الخامس: (لنفسه) إنه كالشيطان يلاحق جنونها حتى لا تهدأ.

الحبيبة: أيها الملك الحبيب.
فارسي الذي يزورني في أحلامي.
لا تغضب، فأنت دائم الحضور.
لكن لمَ أنت حزين؟ (صمت)
لا أسمعك وسط الضجيج.
رحى تدور وتدور في رأسي
وأجراس تقرع في كل حين.
فالأبواب مغلقة والحرس في كل مكان.
هل هو يوم زفافك؟
أم أنه الفيضان الذي لا يقوى
أحد على مقاومته،
والذي يهزّ السماء مُحدثاً الخراب في الأرض؟
لسنا ملومين. فالكلّ أكل من الشجرة.
واللعنة فوق الرؤوس سقوف ملتهبة.
وأسفاه، كقماش مبتلّ ملقى،

كانت معلّقة على الوتد.

لكنهم صوبوا عيونهم رماحاً مشتعلة تحرق جسدها،

نحن قساة لا نرحم.

جلجامش: (إلى الكاهن. يقطع الطريق عليه) هل كنت تبحث عنها.

الكاهن: (مرتبكاً) آ... آ... عمّن؟ كلا. إنما، إنما كنت قلقاً عليك وجئت لرؤيتك.

جلجامش: أنا بخير، إن كنت تسأل عنّي.

المهرّج الأول: هل آخذها بعيداً يا سيّدي خوفاً من الطاعون؟

جلجامش: (ينظر إلى الكاهن) صدقت. (إلى المهرّج) خذها وأخبرهم ألا يتركوها تدخل على الجثّة مرّة أخرى.

الممثّل الخامس: هيا أيتها الجميلة.

الحبيبة: لا تلمسني، فها هي تنفث النيران كيوم الجحيم. لا تحزنوا يا صغاري.

سأعود في موسم القطاف،

أرعى الحقول.

فحبيبي رحل عني.

والأرض مجدبة، لا تحمل الزهر.

هيّا. هيّا. هيّا.

(يقودها المهرّج ويخرجان)

جلجامش: سيّدي الكاهن؟

الممثّل الرابع: نعم يا سيّدي.

جلجامش: متى يستيقظ الملك من نومه في المعبد؟

الممثّل الرابع: لا أعلم بمشيئة الإله يا سيّدي.

جلجامش: بمشيئة الإله أنت تعلم.

الممثل الرابع: كلا يا سيّدي، الإله هو العارف بما تخبّئه الصدور والأقدار.

جلجامش: وهل يعلم بأنك تشتهي حبيبة أنكيدو، وكنت ترغب في موته؟

الممثل الرابع: (مرتبكاً) أنا، أنا يا سيّدي. لماذا؟

جلجامش: لأنك تحبّها وتريدها لك؟

الممثل الرابع: أنا، يا سيّدي، إنها...

جلجامش: (مقاطعاً) إنك تحبّها.

الممثل الرابع: أنت تظلمني يا سيّدي.

جلجامش: لقد خلقتَ كل شيء، من أجل أن تنفرد بها.

الممثل الرابع: كلا. أنا لا أحبّها.

جلجامش: بل تحبّها، ولهذا أردت وعملت على موت أنكيدو. كُفَّ عن الكذب يوماً واحداً في حياتك، واكشف نفسك أيها الكاهن.

الممثل الرابع: أنا لا أحبّها.

جلجامش: (يلاحقه) قل الحقيقة.

الممثل الرابع: كلا، لا أحبّها.

جلجامش: نعم أنت تحبّها، وتأرق الليل من أجلها وتتلصص عليها من ثقوب أبواب المعبد، عندما كانت تقدّم القرابين.

الفرقة: (أصوات متعدّدة) إنها الحقيقة.

الممثل الرابع: (مأخوذاً، يصرخ) كلا. كلا. كلا.

جلجامش: وتطلب منها بصوتك الأجشّ، أن تتعرّى أمام الإله تنفيذاً لرغبته.

الممثل الرابع: كلا. كلا. إنها أسرار العبادة.

جلجامش: فتحصل على ما تريد من خلال إرادة الإله. حتّى أنا، جعلتني

أتفيّأ بظلّك الكاذب.

الممثّل الرابع: كلا. كلا. إنك قريب من سَمع الإله.

جلجامش: (غاضباً) إلهك هذا يسمعني، فإن كان له لسان فليتكلّم.

الممثّل الرابع: لا تجحد يا بني، خوفاً من أن تصيبك اللعنة.

جلجامش: أم أنك تشارك إلهك غنائم شرّ أفعالك.

الممثّل الرابع: (يصرخ إلى الجمهور) إنه جاحد يسبّ الإله. أيها الإله العظيم، لا تسمعه لأنه لا يعي ما يقول.

جلجامش: كلا. بل الآن فقط أعي ما أقول.

الممثّل الرابع: توقّف يا بني، وإلا أصابك الطاعون الذي حوّل أنكيدو إلى صخر أسود، توقّف.

جلجامش: (متألماً) أنت والآخرون جعلتم من أنكيدو طائراً مكسور الجناح كي تستولي على حبيبته. أليس كلامي حق أيها الكاهن.

الممثّل الرابع: يا سيّدي... أنا...

جلجامش: (مقاطعاً) تكلّم، تكلّم، لقد ولّى زمن أسطورتك. واجه نفسك، واكشف عن ذلك الشرّير في داخلك، تكلّم...

الفرقة: تكلّم... (الفرقة وجلجامش يلاحقان الكاهن)

جلجامش: تكلّم، تكلّم، تكلّم.

الممثّل الرابع: (منهاراً) نعم كنت أحبّها ملكت عليّ جميع حواسي، وجعلني جمالها أفقد توازني، كنت أحبّها.

جلجامش: ولهذا اختلقت حكاية الوحش الذي يسكن الغابة.

الفرقة: (بصوت هامس كأنه الماضي) جلجامش يرى رؤيا

يزوره الإله

يسقيه عسلاً حلواً

وينفخ في فمه البركة.

الممثّل الرابع: (إلى الجمهور) أنه لأمر شاق أن يكذب الإنسان على نفسه، ولكن ما أسهل الكذب على الآخرين.

(أثناء حوار الكاهن وجلجامش تكون الفرقة منشغلة في تهيأة المشهد. الممثّلة الأولى (الملكة)، تجلس على كرسي ضخم، تحيطها بعض الكاهنات بأقنعتهن الكبيرة. يُضاء المشهد، فنرى جلجامش الشاب أمام أمّه الملكة. الكاهن يترك مكانه في الحاضر ويتجه نحو مكان الفعل في الماضي. المشهد يُمثَّل. الفرقة تقوم بالمؤثّرات الصوتية وتخلق جو المشهد الجديد الذي ينقسم الحدث فيه بين الماضي وحاضر الفعل).

جلجامش: (بملابس أخرى ويضع قناعاً) يا أمّي رأيت الليلة الماضية حلماً. رأيت أني أسير مختالاً فرحاً بين الناس، فظهر القمر وسقط بين قدميَّ. أردت أن أرفعه، ثقل عليّ.

الممثّلة الثالثة: إنها بشرى.

جلجامش: (مواصلاً) تجمع حوله أهل المدينة وأخذوا يتمتّعون بضيائه، وفجأة ظهر حيوان بتسعة رؤوس، فحمل القمر من بين قدميَّ ورفعه في يد واحدة فعمَّ الظلام.

الممثّل الثاني: رحمتك يا ربّ.

جلجامش: ركع الناس جميعاً خوفاً. طعنت الوحش في أحد رؤوسه، قطعته، لكن سرعان ما نبت له رأس جديد، فوقفت حائراً لا أعرف ماذا أفعل؟

الممثّل الثالث: يا كبير الآلهة...

الممثّل الأول: إني خائف.

الممثلة الثالثة: إنه غضب الآلهة.

المهرّج الثاني: أيها الكاهن. امنحني بركتك.

الممثل الرابع: لا تقاطعوه. دعوه يكمل.

جلجامش: وعندما هجم عليّ في إحدى المرّات. طعنته في القلب، فخرَّ يزأر بصوت مخيف حتى خمدت أنفاسه. سقط القمر تحت أقدامي وأضاء نوره المكان. انحنيت عليه ورفعته وأتيت به عند قدمَيك، فجعلته نظيراً لي.

الممثل الرابع: (يدخل مكان الفعل. ينظر متردّداً إلى جلجامش. يرمي زارات كبيرة عدّة ويتمعّن فيها. فترة صمت. ينظر مرّات عدّة إلى جلجامش) إنه صديق مخلص. يُعينك في الشدائد ويشدّ أزرك.

الفرقة: شكراً للإله.

جلجامش: (تجمد حركة المشهد) إنت تكذب أيها الكاهن. في ذلك الوقت لم تقل هذا الكلام، إنما قلت شيئاً آخرَ.

الممثل الرابع: يا سيّدي (يترك المشهد في الماضي ويقترب من جلجامش. مشهد الملكة يبقى مضاءً وجامداً).

جلجامش: أذكرُ أنك قلت شيئاً آخر. اذكره كما قلته.

الممثل الأول: حقاً لقد قال شيئاً آخر.

الممثلة الثالثة: نعم وحق الآلهة، قال شيئاً آخر.

جلجامش: إنك الآن تكشف ذاتك ويجب أن تكون صادقاً.

الفرقة: قل الحقيقة.

الممثل الرابع: (يوافق. يتقدّم نحو مشهد الملكة في الماضي. تعود الحركة في المشهد المضاء. يقذف بالزار الكبير مرّات عدّة) لقد قلتُ يا

سيّدي. قلتُ (يقذف الزار) قلت يا سيّدي (يقذف الزار) بأنك ستكون بطلاً يسجد لك الناس، وأما ذلك الوحش، فتفسيره أنه يظهر في المدينة وحش يلتهم أهلها وكل ما فيها (يقذف الزار) لكنك أنت فقط تذهب إليه في مكانه. تصارعه حتى تقتله، وعندما تصبح بطلاً، يسجد لك أهل المدينة، فتشعّ بنورك وتضيء الظلام كالقمر.

الفرقة: جلجامش رأى رؤيا.
جلجامش زاره الإله
نفخ في روحه البركة
وسقاه عسلاً صافياً (يختفي مشهد الملكة. الكاهن يعود حيث جلجامش).
جلجامش: أكمل أيها الكاهن.

الممثّل الرابع: (إلى الفرقة) نحن بحاجة إلى ممثّل خائف ومرعوب.

الممثّلة الثالثة: أنا مستعدّة.

الممثّل الرابع: (يغازلها بعد أن ينزع قناع الكاهن) أنت جميلة، وجمالك يدفعني إلى أن ألعب معك شيئاً آخر، ولا يمكن أن يتمّ هذا هنا، هيا اذهبي. إننا بحاجة إلى رجل وليس امرأة.
(ضحك من الفرقة).

الممثّل السابع: أنا مستعدّ. (يتقدّم ليمثّل بإشارة من الكاهن)

الممثّل الرابع: جرّب أن تكون خائفاً (الممثّل السابع يمثل الخوف بإشارة من الكاهن) ليس هكذا، فالإنسان الخائف لا يشعر بما يدور حوله. الرعب يحوّله إلى شيء آخر. قف هكذا واصرخ (يمثلان بصمت أولاً، ويضع قناع الكاهن) اصرخ خائفاً.

اصرخ مرعوباً. اصرخ. اصرخ. اصرخ. وحش. وحش.

الممثّل السابع: (بتردّد) وحش. وحش.

الممثّل الرابع: وحش في الغابة. وحش يقطع الطريق إلى الغابة. (هامساً) اصرخ بأعلى صوتك.

الممثّل السابع: (مردّداً) وحش في الغابة، رأيته بعيني. وحش يقطع الطريق إلى الغابة. له تسعة رؤوس. وفي كل لحظة ينمو له رأس جديد.

الممثّل الرابع: (يضحك) حسن. حسن جداً. إنك ذو خيال واسع يساوي خيال عشرة رجال (يلبس قناع الكاهن. يصرخ)... التهمَ القافلة.

الممثّل السابع: التهمَ القافلة وجميع رجالي. إنه غضب السماء. غضب الإله. يا إلهي يا قائد جياد العالم ارحمنا من غضبك.

(الفرقة تمثّل الرعب والخوف وتتحرّك في جميع أرجاء المسرح. صوت إغلاق أبواب ونوافذ. صخب. الفرقة تنزل إلى الصالة بين الجمهور. رعب ومن خلاله نسمع):

الممثّل الأول: أنقذنا يا مليكنا.

الممثّل الرابع: إنه غضب الإله.

الممثّلة الثالثة: ارحمنا أيها الملك.

الممثّل الثالث: أين أبطال المدينة؟ نحن نموت خوفاً.

الممثّل الأول: أنقذنا يا سيّدي.

الممثّل الثالث: أبعد الوحش عنّا.

الممثّل السادس: أيها الملك. إن الوحش على الأبواب يقطع طريق القوافل.

(المهرّج الثاني) (حركة عنيفة في الفرقة بعدما أصبحت على خشبة

المسرح).

جلجامش: (من مكانه. جمود في الخلفية... يقطع الحدث) وتعلم أن الناس يصدّقون الأحداث التي تُدخل الخوف والفزع في قلوبهم.

الممثّل الرابع: لا بدّ من ذلك سيّدي، لا بدّ (يعود سريعاً إلى الممثّل السابع بعد أن يضع قناع الكاهن) اصرخ. اصرخ. استجر بالملك (يستمرّ الصخب) أيها الملك أنقذنا.

الممثّل السابع: أنقذنا أيها الملك. إننا نموت رعباً.

الممثّل الثاني: (طبول. موسيقى. الملك مع الملكة يقفان في الخلفية على الشرفة. الملك مدرعاً بالأسلحة. الكاهن يبتعد عن الممثّل الثالث - الرجل) لا تخافوا يا أبنائي، سنلقي الوحش في نهر الفرات، كما ألقينا جميع الوحوش السابقة، فآلهتنا تنصرنا دائماً. (صمت) لكن أين أبطال هذه المدينة؟ لا أراهم الآن. أليس من أجل هذه المهمة نربّيهم ونطعمهم؟ أين همُ؟ أرسلوا أبطال مدينتنا لملاقاة الوحش في الغابة وقتله.

الممثّل الرابع: (إلى الملك) لقد أرسلنا جميع أبطالنا سيّدي، لكن الخوف أفقدهم الحركة وها هم مع الناس يتوسّدون بلاط المعبد.

الممثّل الثاني (الملك): خراب هي المدينة التي يخاف رجالها، ولعنة هم الرجال الذين لا يعون سبب مأساتهم. أرسلوا من هم أقوى وأشدّ بأساً (ظلام على الملك. يزداد الصخب)

الممثّل الثالث (الرجل): لقد حُرمنا الراحة، فالخوف سرق نومنا والجوع أهلكنا. الأسواق أقفلت بعدما تعطّلت تجارة المدينة، والناس يوصدون أبواب بيوتهم.

الممثّل الرابع: إنك شيطان وممثّل ملعون تؤدّي دورك على أحسن وجه. (يضع قناع الكاهن) هيا اصرخ بأعلى صوتك.

الممثّل الثالث: لقد أقفرت المدينة يا سيّدي الملك.

الممثّل الرابع: اصرخ. اصرخ.

الممثّل الثالث: (يبكي) ستخرب مدينتنا يا سيّدي.

الممثّل الرابع: اصرخ.

الممثّل الثالث: (الرجل) وتعطّلت التجارة.

الممثّل الرابع: اصرخ.

الممثّل الثالث: أبعد عنّا غلالة الطاعون يا سيّدي.

الممثّل الرابع: الطاعون... الطاعون؟ اللعنة عليك جعلتني أصدّق (فترة صمت... يمسك الرجل ويأخذه زاوية) من أين لك هذا الكلام؟ لماذا تكذب يا حرامي؟ أمثالك حشرات تعيش في كل زمان ومكان، وحيثما تكون العفونة والشرّ، يتحوّلون إلى حيوانات بشرية شرسة، عفنة سرعان ما تفقد إنسانيتها. يجب أن تموت يا ابن الملوّث. (يطعن الرجل من الخلف فيسقط بصمت. يقفز المهرّج الأول طائراً ويقترب من الكاهن. جلجامش يراقب الكاهن أثناء قتله الرجل). يا ابن الكاذب... حقاً إنه طاعون.

المهرّج الأول: هل أذهب يا سيّدي الكاهن لملاقاة الوحش؟ فأنا أستطيع خداعه.

الممثّل الرابع (الكاهن): عد إلى مكانك أيها الهزأة (يختفي المهرّج). إنه غضب السماء. انظروا كيف مزّق الوحش هذا الرجل المسكين. لا بدّ من أن يتقدّم بطل ينقذ المدينة، ويُدخل الهدوء إلى قلوب

أبنائها (إلى الجمهور) وإن لم يكن هذا البطل موجوداً يجب أن نخلقه. (يظهر الملك في الشرفة وقد ازدادت الأسلحة وعدد النياشين التي غطّت جسمه) يا سيّدي الملك لم يبقَ إلا البطل جلجامش. سيصبح بطل الأبطال بعد أن يهزم الوحش، لأنني أرى الغيب يرسم انتصاره.

الفرقة: جلجامش بطل الأبطال... جلجامش السور الحامي.

الممثّل الثاني: فليذهب ابننا جلجامش لإنقاذ شعبه.

(الملك) (يختفي الملك. جمود في الحركة. عودة إلى المشهد السابق)

جلجامش: إنك الوحيد الذي اكتشف حب المغامرة لدي.

الممثّل الرابع: (الكاهن) (يخرج من مكان الفعل ويتقدّم إلى جلجامش) نعم يا مولاي لا بدّ. إذاً لا بدّ من أن تتهيّأ لملاقاة الوحش والانتصار عليه.

جلجامش: الانتصار عليه؟

الممثّل الرابع: (الكاهن) نعم يا سيّدي فالطير يُنبئني بذلك، واسمك مكتوب في السماء، يشعّ كالنجم الساطع.

جلجامش: هم (صمت) أيها الكاهن كيف شكل هذا الوحش؟

الممثّل الرابع: الوحش نفسه الذي رأيته في حلمك، وأنا مطمئن لملاقاتك له.

جلجامش: وإذا رفضتُ؟

الممثّل الرابع: (الكاهن) يجب أن تذهب كي تصبح بطلاً وتنقذ المدينة، فالحياة أيها الشاب مغامرة.

جلجامش: وأنت هل تأتي معي؟

الممثّل الرابع: كلا، سأبقى هنا لأعدّ طقوس انتصارك. ماذا قلتَ يا سيّدي؟

جلجامش: حسن. من أجل مدينتي أوافق على الذهاب لملاقاة المجهول.

الممثّل الرابع: إنك بطل أيها الشاب (يبتعد عنه) جلجامش البطل سينتصر

على الوحش.

الفرقة: جلجامش سينتصر على الوحش.

جلجامش: (إلى الجمهور) وعندما قبلتُ الذهاب عزم أنكيدو على مصاحبتي.

الممثّل الرابع: (منهاراً) إني أحبّها يا سيّدي.

جلجامش: وعندما ذهبنا، كان الرعب أسواراً تطوّق المدينة، وتعلّقت حياة الناس بانتصارنا على الوحش.

الممثّل الرابع: إني أحبّها يا سيّدي، وأثناء غيابكم فشلتُ في الاستحواذ على قلبها فملأني اليأس.

جلجامش: وكنت تأمل لدى دخولنا الغابة أن تلاقينا حيوانات مفترسة.

الممثّل الرابع: إن حبّي لها أفقدني العقل.

(تبدأ الرحلة التي تُمثّل بمشاركة الفرقة، فالممثّلون يتحوّلون إلى أشجار ويخلقون جوّ الغابة بجمالها وظلامها وضبابها وهدوئها ويتوزّعون بين خشبة المسرح والصالة بحيث تتشكّل غابة كبيرة واسعة. هذا المقطع يُمثّل ولا يُسرد).

الفرقة: وعندما دخلا الغابة

(تهبط من أعلى المسرح قطعة قماش شفّافة بحيث يرى الجمهور المشهد من خلالها).

جلجامش: أنكيدو وأنا (أنكيدو ينزل من مكانه ليشارك في المشهد).

الممثّل الثالث (شجرة): كان الظلام مخيفاً والريح تصفر، وكنّا أشجاراً كأشباح نتمايل.

جلجامش: لم نرَ أثراً للوحش.

الفرقة: توغّلا في غابتنا.

جلجامش: وسرنا حذرَين متأهّبَين،
الليل يلفّنا،
فبتنا ليلتنا في عالم المفاجآت المخيفة.
الممثّل السادس: عندما كان الليل يلفظ أنفاسه الأخيرة
(شجرة) والفجر يصبغ غابتنا بلونه الرمادي
كان الهدوء يعمّ كل شيء.
هدوء لم أشعر به من قبل
هدوء أدخل السكينة إلى قلبي.
الفرقة: هدوء. هدوء. هدوء (الفرقة تمثّل الهدوء وصوت الفجر).
جلجامش: كنّا قد شارفنا على الجانب الآخر،
لكن التعب أنهكنا، فجلسنا نستريح
وغلبنا النعاس.
الممثّلة الأولى: بعدما حطّ طير النوم على أجفانهما.
(شجرة)
الفرقة: ناما نوماً عميقاً. عميقاً. عميقاً. عميقاً. (مؤثّرات صوتية للغابة).
الممثّل الخامس: على عشبنا الأخضر
(شجرة) وندى أرواحنا الدافئة يغطّيهما
ويبلّل أجفانهما، ناما نوماً عميقاً.
الفرقة: عميقاً. عميقاً. عميقاً. (تظهر الشمس بيد الممثّل السابع)
جلجامش: وعندما استيقظت.
الممثّل السابع: كنت أنا في كبد السماء.
(الشمس) أرسل نوري إلى المخلوقات.

جلجامش: نظرت فرأيت ذئباً هزيلاً
فرَّ هارباً عندما رآني. (يجري في المسرح)
رميته برمحي
أخطأته
ورجعت إلى أنكيدو فوجدته مستيقظاً.
وأخبرته بأنني قتلت الوحش
فهل كان حلماً، أسطورة أم واقعاً؟ لا أعرف.
عدنا على الطريق نفسها. (يسيران والغابة تسير معهما. وفجأة يختفي مشهد الغابة، كما ظهر، بعد أن يعود أنكيدو إلى مكانه... ثم إلى الكاهن) وعندما عدنا أردتَ أن تستمرّ في اللعبة حتّى نهايتها فجعلت مني بطلاً.

الممثّل الرابع: (الكاهن) وأنت أيضاً قبلت اللعبة يا سيّدي، وها هي أشجار الغابة تشهد بذلك.

جلجامش: كان الشعور بالبطولة يُسكرني ويجعلني أفقد ذاتي.

الممثّل الرابع: (الكاهن) كان لا بدّ من وجود هذا البطل المنقذ، وعندما عدتَ، ركعوا لك وتباركوا بنورك (يلاحق جلجامش) كنتُ أنا الخالق وأنتَ الأداة المنفّذة. كنتَ اللعبة فأصبحت أسطورة. قبلتَ اللعبة وكنتَ أحد أركانها.

جلجامش: نعم. لأن الكذب يحيطني في كل مكان. في القصر والشارع والمعبد. كنتُ لا أرى الحقيقة وإنما الوجه المزيّف والكاذب منها.

الممثّل الرابع: وأردتَ أن تكذبَ حتّى النهاية.

جلجامش: لقد صدّق الناس اللعبة.

المـمثّل الرابع: (من دون قناع... إلى الجمهور) هو كذبٌ أيضاً... تحت السياط ولدنا، وتحت السياط نموت. (يلبس القناع) إذاً تساوينا يا سيّدي. الكذب والخداع هما حياتنا. بهما فقط نتجرّع مرارة الحياة. استمرّ. استمرّ يا سيّدي.

جلجامش: كنّا متساويَين أيها الكاهن. كنتُ أنام على العشب البارد على ضفاف الفرات وأسرح ثاقباً هذه الأكذوبة. مفتّشاً عن بصيص من النور في داخلها، لكن ظلامها كان حالكاً.

المـمثّل الرابع: كل شيء مظلم يا سيّدي، لكنك كنت تساعد الناس على العيش
(الكاهن) وسط الكذب. هذا السوط الذي لا يرحم، أليس كذلك؟

جلجامش: نعم أيها الكاهن، كنتُ، ولكني أردت أن أرفض كل شيء، الكذب وسلطتك، أردت أن أبدأ زمني.

المـمثّل الرابع: (يصرخ كالمحقّق) كنتَ لاهثاً في اللعبة حتّى تتلذّذ بنشوة
(الكاهن) الانتصار التي خلقتُها أنا (يقترب من جلجامش خائفاً، وجلجامش ساهم) هل نكفّ يا سيّدي؟

جلجامش: كلا، لنستمرّ. (الكاهن يؤشر للفرقة ضارباً على آلته الإيقاعية)

الفرقة: (تعلن) حكاية أنكيدو يسردها كاهن المعبد.
(يتغير المشهد. الكاهن يبتعد)

المـمثّل الرابع: (يصرخ) الفئران في كل مكان.
(الكاهن) (حركة غير عادية في الفرقة. الرعب. الخوف. الصخب)

الفرقة: الطاعون يغزو المدينة.

المـمثّل الرابع: إنها لعنة الآلهة. الفئران تنتشر والناس يتساقطون.

الفرقة: الطاعون يغزو المدينة.

الممثّل الرابع: الجثث تملأ الوديان.

الفرقة: الطاعون يغزو المدينة.

الممثّلة الأولى: (تظهر في الشرفة بملابس النوم... إلى الكاهن) ماذا هناك

(الملكة) أيها الكاهن؟

الممثّل الرابع: الفئران تغزو المدينة يا سيّدتي. أين مولاي الملك؟

الممثّلة الأولى: فئران؟ يا إلهي (تركع خائفة).

الفرقة: الطاعون يغزو المدينة.

الممثّل الرابع: انظروا الفئران في كل مكان.

جلجامش: (يتنبه لأول مرّة) ماذا؟ فئران؟

الممثّل الرابع: (يقترب مهرولاً نحو جلجامش) أين أنت يا سيّدي؟ لقد بحثتُ

(الكاهن) عنك كثيراً.

جلجامش: ماذا تريد؟

الممثّل الرابع: إنها اللعنة يا سيّدي. الطاعون يغزو المدينة (صمت).

جلجامش: ماذا تقول؟

الممثّل الرابع: الطاعون يغزو المدينة يا سيّدي.

(الكاهن) (حركة، يتغيّر المشهد)

(موسيقى مناسبة. جلجامش راكماً. يأتي الملك والملكة وبعض الأقنعة من أعضاء الفرقة الذين لا يرون المشهد الذي يدور أمامهم. الممثّل الأول (أنكيدو) يهبط حاملاً زهرة حمراء كبيرة من خلفية المسرح التي كان فيها كالطير المقتول. تختفي صورته في الخلفية تنزل شبكة من أعلى المسرح. الكاهن على شكل غجري غريب يمسك بدفّ كبير لينقر عليه، يُصاحبه رجال الدولة: أمين السرّ، المفكّر بلا رأس، الشاعر، كبير

الحرس، رئيس المحكمة، وهم يجرّون عربة الممثّلين الجوّالة بهدوء والتي تقف عليها عشتار بشموخ إلهيّ. تهبط عشتار بملابس غجرية لاعتراض طريق أنكيدو. يتحرّك جلجامش والحبيبة نحوهما يستمرّ رقص تعبيريّ بينهما وتحاول عشتار خطف زهرة الحياة الحمراء التي يمسكها أنكيدو، يساعدها الكاهن. الحبيبة وجلجامش يحاولان دائماً حماية أنكيدو، وثلاثتهم يقاومون، وفي النهاية يعجز جلجامش. عشتار الغجرية تنتصر وتأخذ الزهرة الحمراء فيسقط أنكيدو صريعاً وكأنه أصيب بسهم ناري. الحبيبة تصرخ وتهرب. جلجامش ينهار ويعود إلى جلسته في بداية المشهد)

الفرقة: (تغنّي بهمس كورس النائحات أثناء هبوط أنكيدو)

لهفي عليك أنكيدو
طويل حزني أنكيدو
ثياب القشّ ألبسها
خبز الشوك آكله
وملح الأرض ألتهمه
لحاف الرمل ألتحفه
عميق حزني أنكيدو
عميق حزني أنكيدو
عميق حزني أنكيدو
(صمت)

جلجامش: (وهو يتعذّب) لتندبكَ المسالك التي سرناها
وعسى ألا يبطل النواح

عليك ليل نهار
فيرجع صدى البكاء في الأرجاء.
ليندبكَ الفرات الطاهر الذي
كنّا نُسقى منه.
يا صاحبي وخلّي.

هل وضعت طيبتك
على راحة يدك
وسرت مفتوناً في هذا
الزمان اللعين؟
لا تستسلم لهم (صمت).
يا أنكيدو يا خلّي
أيتها الزهرة النقية التي كنتُ أختزنها
للترويح عن عذاباتي.
يا صاحبي لم أكن أعلم أنهم
يسحقون الزهور
بل لم أكن أعلم أن الموت
قريب جداً هكذا.

(تجثم عشتار على جثّة أنكيدو ومن ثم تسحبها، وتضعها على الدكّة أمام جلجامش والملك والملكة، وبعض أعضاء الفرقة الذين لا يرون هذه الحركة. يصعد الكاهن وعشتار إلى العربة، يختفون في الظلام)

(جلجامش متابعاً) ذاك الذي شاطرني كل خطر قتلوا فيه

زهرة الحياة. حطّموا قلبي هؤلاء. لكني أعرف كيف أدخلهم الحظيرة. أما هذا فلن أغفر له أبداً. سأجعل من بحر روحي الهائجة نيراناً تحرقهم جميعاً. (يئنُّ)

الممثّل الثاني: (الملك) أين الصنّاع ونحّاتو الأحجار الكريمة
اصنعوا لأنكيدو تمثالاً
فهو الضحية الأولى.
سيبقى ابننا جلجامش مع جثّة صديقه
ليندبه حتّى يرق قلب الإله
ويكشف عن وجهه.

(يخرج الملك والملكة. طبول. يقوم أنكيدو ويتجه نحو خلفية المسرح، حتّى تظهر صورته في الخلفية كطير مصاب بسهم ناري. يتغيّر المشهد)

الممثّل الرابع (الكاهن): (يعود إلى مكانه السابق) هل أنت، هل أنت بخير يا سيّدي؟

جلجامش: (هامساً) ابتعد. اتركني، اتركني.

الممثّل الرابع: هل؟ هل؟

جلجامش: (مقاطعاً) اخرج اخرج من هنا.

الممثّل الرابع: (متردّداً) هل أذهب يا سيّدي؟ هل انتهينا من اللعبة؟ (يحاول الخروج)

جلجامش: أيها الكاهن، هل تعرف بأن أنكيدو لم يمت بالطاعون. بل أنت الذي جعلت منه شارة خوف كي يدوم الرعب في قلوب الناس.

الممثّل الرابع: كلا يا مولاي، إنه الطاعون.

جلجامش: نعم إنه طاعونك، وطاعون المعبد والقصر، فكل من لا يصدق

قوانينك يخيّم عليه ظلام القبر.

الممثّل الرابع: أنت تهذي يا سيّدي.

جلجامش: (يمسك الكاهن بعنف) الذي لا يؤمن بك، إما أن يكون مجنوناً تغلقون عليه أبواب حجرات المعبد وإما تربطونه بحجر كبير وتلقون به في الفرات.

الممثّل الرابع: إنك تؤلمني يا سيّدي.

جلجامش: الآن فقط شعرتَ بالألم.

الممثّل الرابع: نعم يا سيّدي، إنك تؤلمني.

جلجامش: ألم تشعر بالألم الذي يحيط بك؟

الممثّل الرابع: كلا أي ألم.

جلجامش: ينام معك؟

الممثّل الرابع: كلا.

جلجامش: يأكل جسدك؟

الممثّل الرابع: كلا.

جلجامش: ألم تسمع الصراخ؟

الممثّل الرابع: كلا. أي صراخ، أين؟

جلجامش: ألم ترَ هذه النيران؟

الممثّل الرابع: كلا.

جلجامش: ألم تفكّر لماذا يحزن الإنسان؟

الممثّل الرابع: كلا يا سيّدي.

جلجامش: لماذا أيها الكاهن؟

الممثّل الرابع: هذه هي الحياة، ونحن نعيشها مرّة واحدة وعلينا المحافظة عليها. إنك تؤلمني يا سيّدي.

جلجامش: (يتركه) اذهب وقل لسادتك، لقد بدأ زمني وزمن المدينة.

الممثّل الرابع: (يذهب وهو يترنّم) فئران. فئران ممتلئة بالشحم، وفي يوم الفيضان ستخرج من جحورها هاربة، لا تحميها حتّى أشجار النخيل الباسقة.

جلجامش: (صمت. يلتفت إلى الكاهن) حافظ على فئرانك في جحورها.

(يختفي بين أعضاء الفرقة)

الممثّل الرابع (الكاهن): أيها الإله. لقد انخفضت كفّة الميزان في هذا الزمان وبدأت العواصف تهدّد عرين الأسد. (إلى الجمهور) أوقفوا نزيف الغضب في صدر جلجامش، لأنه يريد أن يتحدّى المدينة والإله ويغيّر القوانين ويدوس عليها، وسوف لن ينال هذا في حياته أبداً، أبداً.

(المهرّج الأول مسرعاً يعطي إشارة إلى صاحب الإنارة)

ظلام

الأغنية الثالثة
أغنية السبي كما ذكرت في الأساطير الحديثة

(ساحة أمام باب المعبد. الممثّلون منتشرون في أرجاء المسرح قلقين منتظرين. بعض الحرس على شكل دمى منتشرون بين الممثّلين. أقنعة معلّقة على الرماح)

الممثّلة الأولى: (إلى كبير الحرس) متى يخرج الملك من المعبد؟

الممثّل السابع: لا يعلم إلا الإله.

(كبير الحرس)

الممثّلة الأولى: والكاهن، ألا يعلم أيضاً؟

الممثّل السابع: بدلاً من هذه الأسئلة، قدّمي قربانك إلى الإله وصلّي.

(كبير الحرس) (تذهب)

الممثّلة الثالثة: أريد أن أدخل لتقديم هذا النذر.

الممثّل السابع: ممنوع الدخول. هاتي. الكاهن خولني بدلاً عنه لجمع النذور

(كبير الحرس) (يأخذ النذر) اذهبي وصلّي (تذهب). (إلى مجموعة من الرجال) لا تتجمّعوا هكذا، فالتجمّع محظور بأمر الملك والكاهن.

الممثّل الثاني: ولكننا ننتظر خروج الملك.

كبير الحرس: الجلوس هكذا ممنوع، والتجمّع هكذا ممنوع، والتكلم بهمس ممنوع ممنوع ممنوع. تفرّقوا أو تكلّموا بصوت عالٍ، هذه هي الأوامر.

الممثّلة الثالثة: (توزّع الخبز على الفرقة) الخبز مادّة الحياة الأولى. خذ الخبز، الخبز مادة الحياة (تتكرر هذه الجملة كلازمة).

الممثّل الأول: ثلاثة أيام بلياليها والملك لم يخرج من المعبد، وها نحن لا نعرف ماذا نفعل.

الممثّل الثاني: ثلاثة أيام لم أذق فيها غير الماء، ولم أعد أقوى على حمل الفأس وتقطيع الخشب.

الممثّل الثالث: نعم. الويلات حصان جامح يصهل بجنون أمام باب المدينة، لكن الإله هو العين الساهرة.

الممثّل الأول: وماذا ينتظر؟

الممثّل الثاني: اشش... ألا تخاف من أن يسمعوك؟

الممثّل الثالث: لا تتكلّم هكذا... ألا تخاف الإله؟

الممثّل الأول: (يهمس) أخافه، ولكن لماذا هو غاضب؟ ماذا فعلنا له؟

الممثّل الثاني: هذا صحيح، لمَ يطلب منّا فوق ما نحتمل؟ هه لمَ؟

الممثّل الأول: لمَ كلّ هذه الويلات؟

الممثّل الثالث: لا بدّ من وجود رجس في المدينة أغضب الإله.

الممثّل الثاني: ما هو؟

الممثّل الثالث: لا يعلم سوى الإله، ألا ترى هذه الشرور؟ فالجميع نسوا زيارة المعبد وتقديم القرابين.

الممثّل الأول: الفقراء يُلهيهم عن الذهاب إلى المعابد أنها لا تسدّ رمقهم. والفرات غاضب أيضاً، فالصيّادون يذهبون كل يوم مع الفجر وهم يعلمون بأنه لا يجود عليهم بشيء، يعودون وشباكهم خالية، إلا من القاذورات أو جثث ألقيت بعد تشويهها.

الممثّل الثالث: هذه هي شرور الإنسان.

الممثّل الثاني: أيّ شرور؟

الممثّل الثالث: اشش... سيسمعك الحرس.

الممثّل الأول: أتقديمك خبزاً لأطفالك يعدّ شروراً، أين العدالة في هذا؟

كبير الحرس: عن أيّ عدالة تتكلّم؟

الممثّل الأول: عن عدالة الإله، فهذه المصائب والشرور خُلقت من أجل أن يعلّمنا حكمته.

الممثّل الثاني: (يشير إلى خارج المسرح) انظروا، فاليوم ليس كبقية الأيام. انظروا كيف تتلوّى؟

الممثّل الأول: وكأنها تحمل جميع ويلات المدينة.

الممثّل الثالث: إنها مرعوبة.

(تدخل الحبيبة مذعورة وهائجة)

الممثّلة الثانية: أين أطفالي؟ أين رحلوا؟ لا أراهم بينكم. أقُتلوا في السبي،

(الحبيبة) أم أنهم يتطهّرون بماء الفرات؟ (إلى الممثّلة الأولى) أوه... أهذه أنت؟ لم أرك منذ زمن (تتأمّلها) تغيّرتِ! (تتلوّى متألمة) لماذا تتركين أطفالك في النهر يعبثون؟ سيغضب الفرات. ألا تخافين عليهم؟

أسمع الريح تنذر

فالموت إذاً على الضفاف

احموا أجسادكم (تفرد يديها)

فالريح قاسية، لكن ها هو رداء حبيبي،

لا تغضبوا هو حزن جميل،

تمتّعوا... تمتعوا

سأعود في موسم القطاف،

لا تودّعوني... أشكركم

فانا أعرف الطريق

وداعاً... وداعاً... وداعاً (تختفي)

الممثل الرابع: جنونها يزداد هذه الأيام.

الممثل الأول: لا يمكنها أن تنسى أنكيدو.

الممثل الثاني: ومن ينسى أول ضحية للطاعون.

الممثل الأول: (همس) لم يمت بل قُتل.

الممثل الثالث: من أخبرك بهذا؟

الممثل الأول: همسٌ يدور في المدينة.

المهرّج الأول: (نسمعه خارج المسرح) حان وقت الحصاد. (يدخل هو والمهرّج الثاني... يقفزان في الهواء ويبدآن التهريج، فتشيع البهجة بين أعضاء الفرقة) أيتها الرؤوس قد حان قطاف الثمار. تقدَّموا وقدِّموا.

الممثل الأول: ما وراءك؟

المهرّج الأول: ورائي الكاهن وأمامي الطاعون.

كبير الحرس: (ناهراً) لا تُعِد ذلك أيها الهزأة.

المهرّج الأول: (ينحني بمبالغة) لكبير الحرس أحني رأسي ليقطعه وقتما يشاء. (إلى الفرقة) تقدَّموا وقدِّموا. فسيِّدي كبير الحرس مخوَّل بأمر الكاهن، يمنحكم بركته، ويأخذ مالكم. بركة الإله تُباع بالنقود. هيّا تقدَّموا وقدِّموا... ما حصدتموه طوال العام. تقدَّموا تقدَّموا... وقدِّموا وقدِّموا.

(ضحك وصخب)

المهرّج الثاني: (إلى الممثِّلة الأولى) هل ترغبين في أن تكوني صديقتي أيتها الجميلة؟ سأخدمك طوال حياتي، أكون حارسك. هل تكونين المرأة التي تحبّني؟ فقط عندما أموت تحزنين عليَّ وتبكين

موتي.ماذا تقولين؟

الممثّلة الأولى: حزني يكفيني، فاذهب يا صديقي، كثيرات هن النساء وكثيرون هم الأصدقاء.

المهرّج الثاني: كلا، هم غير موجودين. اسمعيني (تختفي المرأة) أين ذهبتِ؟ (فترة. إلى الممثّل الثاني) أنا بحاجة إلى صديق فهل تكون أنت؟

الممثّل الثاني: اذهب أيها الهزأة، لا أحتمل اللعب معك.

(المهرّج الثاني يكلّم بعضهم، الجميع يرفض)

المهرّج الثاني: أيها الناس، من يكون صديقي فأمنحه حياتي؟ (الجميع يضحك ساخراً)

الممثّلة الثالثة: (ساخرة) مقلب جديد.

الممثّل الثالث: إنه ملعون هذا المهرّج الصغير.

المهرّج الثاني: انظروا إني أملك نقوداً جمعتها بحياة الشقاء، سأعطيها لمن يبكيني بعد موتي (يدور ويتوسّل بين أعضاء الفرقة) من يكون صديقي؟ من يكون أخي؟ من... من؟ (ينثر نقوده، فتنشغل الفرقة بنهبها. ضحك، صخب، نسمع أنيناً حاداً للمهرّج)

كبير الحرس: كفى. هيا قدّموا نذوركم. وأنت ألا تقدّمين نذرك؟

الممثّلة الأولى: لم أجلب شيئاً.

كبير الحرس: (يحاصرها) إذاً قدّمي هذه القلادة.

الممثّلة الأولى: إنها هدية زوجي المتوفّى.

كبير الحرس: أتفضّلين زوجك على الإله.

الممثّلة الأولى: كلا، إنما لا أملك سواها.

كبير الحرس: هاتيها أيتها المرأة حتّى يباركك رب المعبد.

الممثّلة الأولى: لا، وليغفر لي الإله.

كبير الحرس: هاتيها والا أمرت بسجنك. (يسحبها من شعرها)

الممثّلة الأولى: إنها ذكرى لزوجي، اتركني أرجوك، أطفالي ينتظرون في البيت.

(يسيحبها ويختفيان)

المهرّج الأول: والآن تقدّموا واسمعوا هذه الحكاية، اسمعوها من البداية إلى النهاية.

من مات منّا رحل. نبت العشب على عينيه ويبس، تقدّموا واسمعوا هذه الحكاية.

الممثّل الرابع: (معلناً) حكاية الجيش الذي انتحر وسط ميدان الحرب.

(هذا المشهد يُجسّد بشكل متضخّم ملابسهم وأسلحتهم، ويُؤدّى إيمائياً من جميع الممثّلين الذين يتحوّلون إلى كهنة للمعبد من خلال تغيّر في ملابسهم واستخدامهم الأقنعة. إنهم يمثّلون الحرب والاستعدادات الأخرى، وبطريقة السلوموشن أحياناً. مشهد يثير السخرية والحزن ويُشعرنا بالحرب)

المهرّج الأول: في سالف الأيام

أيام كانت السماء منفصلة عن الأرض

في سالف الليالي،

عندما كانت الأرض منفصلة عن السماء

في تلك الأزمنة الغابرة

حيث كان العالم بحيرة ماء.

في الماضي من الزمان
وحاضر العصر والأوان،
كان يا ما كان، ملكٌ جميل الطلعة
لا يبخل يوماً بالخير.
يملك جيشاً عظيم الشأن مجهّزاً بالعدة الحربية.
يحكم مملكة واسعة الأرجاء
كثيرة الخيرات
على ضفّة نهرٍ سخيٍّ.
وفي الجانب الآخر
مملكة تتاخم مملكة ملكنا.
وفي أحد الأيام... اختصم الملكان،
غضبا وأعلنا الحرب.
قُرعت الطبول ونادى المنادي في الأسواق
والليل والنهار.

المهرّج الثاني: (يضرب على الطبل) أيها الناس
باسم الإله
والكاهن الكبير
والملك الجميل.
المعظَّم والمبجَّل وحامي الحماة
وصاحب الشارات،
والجالس على عرش الملوكيّة
في زمن الحرب والسلم
وزمن اللا حرب واللا سلم،

وزمن الاستنزاف واللا استنزاف.

يعلن مليكنا عن رغبته في محاربة الملك الذي يجاور مملكتنا.

(طبول)

المهرّج الأول: دعوهم إلى التسلّح

وساقوهم إلى الحرب

وفي الضفّة الأخرى

وجدوا جيش العدو قليل العدّة والعدد،

فرح مليكنا وابتهج.

كبير الحرس: أتقول مليكنا؟

المهرّج الأول: زلّ لساني فاعذروني أصدقائي.

تقابل الجيشان ودوّت طبول الحرب

وأُغلقت النوافذ والأبواب،

وتبادلوا تحية الحرب وطقوسها،

ثم زأر أحدهما على الآخر.

وهجم الجيشان وتداخل السلاح

جحيم في السماء

وجحيم في الأرض.

وجنود مليكنا يموتون بسلاحهم.

كبير الحرس: هو ليس مليكنا.

المهرّج الأول: ملك من ملوك الأرض... زل لساني فاعذروني.

كبير الحرس: وكيف انتهت المعركة؟

المهرّج الأول: الجند يموتون ويموتون

والملك مكتوف الأيدي ينظر.

الممثّل الثاني: وماذا ينتظر؟

المهرّج الأول: رحمة الإله.

وعلى جنده يبكي دماً،

حتى اكتشف الجند أخيراً

بأن السلاح صُنع لقتل من يستخدمه.

أما المنسحبون فيقتلهم رفاقهم من الخلف

الممثّل الرابع: كيف يحدث هذا! إنها خيانة؟

الممثّل الثالث: والملك ماذا حلّ به؟

المهرّج الأول: ظلّ يبكي، ويبكي حتى ابيضّت عيناه من الحزن. والهزيمة موت للمهزوم. فأي موت وأي ذلّ وأي فشل وأي هزيمة تجعل الرأس ينحني دائماً

(يترنّم)

هزيمتي في حياتي

هزيمتي في مماتي.

الممثّل الثاني: وكيف انتهت المعركة؟

المهرّج الأول: خسر الجند المعركة، وعاد بعضهم مثخنين بالجراح، فقدّموهم إلى المحكمة.

الممثّلة الأولى: لماذا... ما ذنبهم؟

كبير الحرس: (وكأنه يلقي خطبة) في حربنا لا يعود الجندي إلا إذا كان منتصراً.

الممثّلة الثالثة: لكن القانون لا يسمح بالانتصار.

كبير الحرس: القانون لا يسمح بالهزيمة أيضاً.

الممثّلة الأولى: كيف هذا؟

المهرّج الأول: الهزيمة تتحوّل إلى نصر عندما يريد الملك ذلك.

كبير الحرس: كفى تهريجاً، وقل ماذا فعلوا بالجنود، هل أعدموهم؟

المهرّج الأول: كلا.

الممثّل الأول: خنقوهم؟

المهرّج الأول: كلا.

الممثّل الثاني: ألقوهم في النهر؟

المهرّج الأول: كلا، فمن يعرف ماذا فعلوا بهم؟

الممثّل الثالث: ثقبوا أجسادهم بالحديد المحمّى؟

الممثّلة الأولى: رموهم في الأفران؟

الممثّلة الثالثة: أحرقوهم بالشمس؟

المهرّج الأول: كلا، من يعرف من؟

الممثّل الرابع: جلدوهم بالسياط؟

المهرّج الأول: كلا.

الممثّلة الأولى: علّقوهم حتّى ييبسوا؟

المهرّج الأول: كلا.

الممثّل الثالث: سلخوا جلودهم؟

المهرّج الأول: كلا.

الممثّل الثاني: قطّعوهم قطعاً صغيرة وألقوهم إلى الجوارح.

المهرّج الأول: كلا.

الممثّل الأول: أجلسوهم على الخوازيق.

المهرّج الأول: (يضحك فقط)

الممثّل الثالث: أنا كنت أفكّر بهذا، فلماذا سطوت على أفكاري؟

الممثّل الثاني: وأنا كنت أفكّر بهذا (إلى الممثّل الأول) إنك لصّ دنيء.

الممثّل الأول: أنت الدنيء. أنا فكرّت بهذا لأني أعرف عقاب هذه الحالات.

الممثّلة الأولى: أنا أيضاً فكّرت بهذا.

الممثّل الثاني: أنا الذي فكّرت أولاً، وأنتم جميعاً سرقتم أفكاري.

الممثّل الرابع: أنا فكّرت أولاً.

الممثّلة الثالثة: أنا أولاً.

الممثّل الثالث: بل إنها أفكاري، وأنتم جميعاً سرقتموها.

الممثّلة الثالثة: بل أنت السارق (تشتبك معه، المهرّج الأول ينسل ويخرج بحذر)

كبير الحرس: توقّفوا وإلا أخذتكم جميعاً إلى السجن، فأنا رجل القانون هنا. اصمتوا وسأشرح لكم الأمر. كلّكم وقعَ في الخطأ، فهم لم يعاقبوهم لا بالحديد المحمّى ولا بأدوات التعذيب التي ذكرتموها. فحكم القانون يفرض عليهم أن يُقتلوا بالأسلحة نفسها التي حاربوا بها كي يشعروا بأنهم في المعركة.

الممثّل الثاني: هذا حق.

الممثّل الأول: وما ذنبهم؟

كبير الحرس: لأن الجندي الشجاع لا يعود من أرض المعركة سالماً، وهؤلاء عندما عادوا خانوا واجبهم.

الممثّل الرابع: ولماذا يعطونهم أسلحة تقتلهم؟ (صمت، لا أحد يجيب)

الممثّلة الأولى: حسنٌ. لنسأل مضحك الملك. (فترة) أين هو؟

الممثّل الأول: لقد ذهب اللعين وتركنا نتخاصم (إلى المهرّج الثاني) أين ذهب شبيهك؟

المهرّج الثاني: ذهب ليهيّئ سخرية جديدة كي يسخر ملء شدقَيه عليكم. ألا تشعرون بالذي يحدث حولكم؟ (صمت، يدور بينهم) من

منكم يبكي موتي؟ من يحزن عليَّ؟ من يكون صديقي يبكيني بعد موتي (الجميع يضحك ساخراً منه، إلا الممثّلة الأولى) هل تبكين موتي سيّدتي؟ فأقدّم لك ما تريدين، أصير الخادم والكلب الأمين.أحرسك وأذود عنك. أغنّي كالطير المذبوح (الجميع يسخر) أطرد عنك ذئاب البشر (لاهثاً) أسهر عليك ليل نهار (يسير على ركبتيه، الجميع يشيحون عنه ضاحكين) أتضحكون على مأساتكم؟ ألا ترون هذا الموت الأسود في كل مكان، هل عميتم؟ ألا ترون؟ (يبكي بحرقة ثم فجأة) لا بدّ من أن أستجدي رحمة الإله لينقذني. من يحبّني، من يبكيني؟ من يحزن عليّ بعد موتي (صوت بكائه يختفي).

الممثّل الثاني: اللعنة لقد ألهانا عن قضيتنا، هيا جميعاً لنبحث عن مضحك الملك ونسأله. (يتهيّأ الجميع للخروج)

كبير الحرس: لا تذهبوا، قفوا وإلا أمرنا بجلدكم. (يجمد الجميع في مكانه)

الممثّل الرابع: (يخلع ملابسه المسرحية، يتقدّم إلى الجمهور) بعد هذه الرحلة الطويلة في الماضي من الزمان، لا بدّ من أن نأخذ قسطاً من الراحة كي نستطيع مواصلة رحلتنا في الحاضر والمستقبل. انتهت الأغنية الثالثة. (إلى صاحب الإنارة) رجاء إظلام تدريجي. (إلى الجمهور) لتُنِر الشمس عَتَمة أرواحنا. (يختفي)

ظلام تدريجي

الأغنية الرابعة
فاصل مسرحي استثنائي

خطبة جلجامش

(كل شيء مختفٍ في الظلام، ما عدا أنكيدو يشعّ نوراً وهو معلّق)

جلجامش: (قلقاً يدور حول نفسه، ثم يتأمّل صورة أنكيدو طويلاً) الموت، الموت أي رقاد طويل هو، دون أحلام ودون يقظة. انظر يا أنكيدو كيف وضعتني صداقتك في قلب الحرّية. وما الإنسان من دون حرّية يا أنكيدو، ومن دون هذا الضوء المتناسق الذي نشعر به في أعماقنا؟ وكيف تسعني صداقتك، إذا لم أكن حراً؟ قل لي كيف يمكنني منحك هذا القلب كميثاق صداقة إذا لم يكن ملكي؟ إنك في الماضي أحببت الحرّية فوق كل شيء، ومن أجلها قتلوك. فيا أيتها الحرّية أوقدي لي نجومك كي أرى الطريق إليك واضحاً.

(يُضاء المسرح فنرى نهاية الأغنية الثالثة، والجميع جامدٌ، تظهر الحبيبة في مكان بارز على المسرح وعندما تتكلّم تعمّ الحياة فيتحوّل كل شيء إلى حركة وضجيج كما في نهاية المشهد السابق)

من مات منّا رحل

الحبيبة: اخضرَّ العشب على عينَيه

ويبس (تجمد حركتها)

جلجامش: (مشعّاً، هدوء في الفرقة، يلتفّ الجميع حوله) أيها التعساء، يا

من تعيشون في هذا الزمن الصعب، ستعرفون من المسؤول فقط عندما تعون أسباب محنتكم. فقد عشتم زمن الخداع والكذب. إنكم لا تحتاجون إلى أبطال ينقذونكم من وحش وهميّ يسكن خارج المدينة. بل من وحش يعيش بينكم ويبدّل وجوهه حسبما يشاء. لماذا انحنيتم؟ لماذا مرّغتم وجوهكم في التراب إذعاناً؟ لماذا أيها التعساء؟ فليختزن كل منكم غضب الفرات في روحه ويحيله نيراناً تحرق كل شيء.

الممثل الأول: إذاً كانوا يخدعوننا دائماً.

الممثلة الأولى: لن ينقذنا سواك، أنت ابن حامينا الملك.

جلجامش: أنتم فقط تنقذون أنفسكم، ومدينتكم ستبقى تعسة إذا لم تعرف كيف تمسك حرّيتها، وإذا كانت الهزيمة أمام الوحوش والطاعون هي مصيرهم فإنها ليست مصيركم. ففي زمن الاضطراب هذا يمكن أن تأتي مآسٍ ومحن جديدة. اذهبوا إلى المعبد والقصر واسألوا عن سبب تعاستكم، والذي لا يبدأ زمنه الآن سيكون مصيره مثل أنكيدو. أما أنا فقد بدأتُ زمني الجديد، فمتى يبدأ زمنك يا مدينتي؟

الممثل الثالث: لقد تحوّل الهمس إلى حقيقة. حقاً كيف مات أنكيدو؟

الممثل الثاني: من هم القتلة؟

جلجامش: إنهم يتنزّهون على آلامكم، أمسكوا حصان حرّيتكم بقدرة ووعي، لأنكم لن تخسروا شيئاً. خراب هي المدينة التي تُنبت خوفاً، خراب هو الحقل الذي لا يُزرع نبتاً.

ظلام

الأغنية الخامسة

ابحثْ في الجذور عن زهور تنمو في أوان غير أوان الفصل

(إنارة توحي بالحلم الشفّاف. أيائل خضراء لها أجنحة. أقنعة مختلفة الأحجام يحرّكها الممثّلون. الملك (الممثّل الثاني) نائم في مكانه عارياً. يدخل المهرّج الثاني متلصصاً، يقترب من الملك، يبتعد خائفاً. يُضاء وجه جلجامش فقط. إنارة خفيفة على جسد الملك. تشعّ عربة الممثّلين الجوّالة وعليها رجال الدولة. قناع الكاهن واضح. ينهار المهرّج الثاني ويتمتم تعويذة. جلجامش يراقب كل شيء. تشيع رائحة البخور)

الممثّل الثاني: (الملك) أيها الإله، احمِني وامنحني نورك. هل ستكشف وجهك لهزأة مثلي؟ أنتظر نورك يا إلهي. (ينتحب ويتلوّى، يهبط رجال الدولة من العربة. الكاهن يسير بإيقاع بطيء كما في الكوابيس. المهرّج الثاني يراقب بجزع ومن دون خوف، وكأنه يراقب قدره. الكاهن يضرب المهرّج بفأس، ثم يضع الجثّة على العربة. الكاهن ورجال الدولة يدفعون العربة. يقوم الملك من نومه والأيائل ترقص حوله بشكل بطيء، ثم يزداد الإيقاع بشكل لا يطاق. الأيائل والأقنعة ترفع الملك العاري إلى الأعلى بحركة سلوموشن وهم يرددون: القربان، القربان، القربان)

الكاهن: (يبدأ بالترتيل بإيقاع خاص. تبقى كلمة القربان كخلفية)

ذاك الذي طعن الإله بالأمس

يجب أن يموت اليوم.

بطرفة عين يكتئب الإنسان

وفجأة يفرح.
تارة يغنّي
وسرعان ما ينتحب.
والناس بين الصبح والعشيّة يتبدّلون
إذا جاعوا هم كالخراف
وإن شبعوا مسكوا مصباحاً وسط الظهيرة.

الأبائل: ذاك الذي طعن الإله بالأمس
يجب أن يموت اليوم.
(تتبدّل الإنارة، الجميع يختفي فجأة، نرى فقط الملك وجلجامش والكاهن الذي يراقب الحدث)

الملك: (يلبس ملابسه، يصرخ) أين جلجامش؟

الكاهن: نطق الإله.

جلجامش: هأنذا.

الملك: أين غبتَ؟

جلجامش: حاضر في كل زمان وأرى ما تراه البصيرة.

الممثّل الثاني: (الملك) أي بصيرة؟ إنك لا ترى شيئاً. ما هذا الذي فعلته أمام الناس؟

جلجامش: لم أفعل شيئاً سوى ما يحفّزه العقل والضمير.

الملك: أي عقل هذا الذي يدعو إلى الاضطراب والفوضى؟

جلجامش: لقد قلتُ الحقيقة.

الملك: لن يعرف هذا إلا الإله، هو فقط القادر على قول الحقيقة.

جلجامش: الحقيقة ليست في المعبد ولا في القصر. بل هناك حيث الناس.
إنها جوهرة تشعّ كالفجر كل صباح، ومعها تشعّ حياتي.

الملك: أتقف نداً لي أيها العاق؟

جلجامش: إنك تقف نداً لنفسك يا أبي.

الممثل الثاني (الملك): أتريد أن تعلّمني ما الذي يجب أن أفعله في مملكتي؟ إنك لا تعي شيئاً، وليس هناك مكان آخر لقول الحقيقة سوى المعبد والقصر، من خلالهما يعرف الناس حجم حرّيتهم.

جلجامش: إذا كانت القوانين تقيّدهم كالسلاسل، فكيف يتعلّمون هذه الحرية؟

الممثل الثاني (الملك): يجب ألا يتعلّموها، بل أن تُعطى لهم بمقدار ما تكون ثمة ضرورة لها. من دون ذلك ستعمّ الفوضى التي تحيل كل شيء إلى خراب.

جلجامش: ومن دون الحرّية ستكون الفوضى سيّدة كل شيء، لهذا فإنها لا تُعطى بل تؤخذ.

الملك: إنك لم تفهم بعدُ يا بني قانون الحكم ومسؤوليته.

جلجامش: أمن الضروري أن يأكل الناس بعضهم بعضاً؟ من أجل أي شيء؟ من أجل أن يبقى فرد في القمّة يحكم ويأمر يكون جزاء الآخرين الشقاء وقطع الرؤوس؟ كيف تفسّر هذا؟

الملك: الحاكم لا يفسّر بل يُطاع، لا بدّ من وجود قائد ينظّم الحياة.

جلجامش: لن يحدث هذا أبداً ما دام هناك وجود لأدوات التعذيب وغسل الدماغ، وما دام الفرات يلفظ كل يوم إنساناً مربوطاً بصخرة كبيرة.

الملك: لكن الضرورة هي التي يجب أن تحكم من أجل أن يمتلك القانون ضرورته، هذه هي القاعدة.

جلجامش: والإنسان يمتلك ضرورته أيضاً، لأن القانون يزول ويتغيّر حسب

مشيئة الإنسان.

الممثل الثاني (الملك): وحقّ الآلهة إذا واصلت بثّ الفوضى وتحريض الناس على الاضطراب، فلن يغفر زمني لك هذا أبداً.

جلجامش: وإذا وقفتُ غير هذا الموقف فلن يغفر زمني لي أبداً.

الممثل الثاني (الملك): هل تريد أن تتحدّى النظام الذي بناه أجدادك. ما الذي دهاك؟ أتحارب مقدّسات العالم الذي تعيش فيه؟

جلجامش: بل أحارب نفسي وسط هذا العالم البائس. (صمت) كثيراً ما كنت أجلس على ضفاف الفرات، أصغي إلى ما يدور أمامي وحولي. كنت أودّ أن أعرف لماذا يشقى الإنسان، ولماذا يركع ذليلاً كالكلب؟ لماذا تصرخ الثكالى مذعورات؟ كل هذا كان يثقب رأسي كسهم ناري ويجعلني أمضي الليل أرقاً.

الملك: بنيَّ أصغي، هذا لعب بالنار سيحرقك لهيبه.

جلجامش: كل شي سينتهي ،فقط لحظة الألم ستطول.

الملك: اللعنة إنك لا تعي ما تقول.

جلجامش: كلا، بل الآن أعي كل شيء.

الملك: توقّف بنيَّ، توقّف جلجامش، توقّف.

جلجامش: (وهو يخرج) خراب هو الحقل الذي لا يُنبت زرعاً، خراب هو الحقل الذي لا يُنبت زرعاً. (يخرج)

الملك: (متألماً) توقّف ياجلجامش، إنك لا تعي حرّيتك، ستكون هي سبب موتك، ستكون الرمح الذي يثقب عينَيك، والصاعقة التي تحرقك، لأن قانون حرّيتك سيثير غضب الآلهة وينتهك حجابها. كلا، كلا يجب أن تتوقّف، يجب. (بألم) سيُهدر دمك، سيُهدر يا بني.

الكاهن: (يهمس لنفسه) سيُهدر.

(إنارة مفاجئة على عربة الممثّلين الجوّالة وفوقها الكاهن ورجال الدولة الآخرون)

الكاهن: كم أحببتكَ يا جلجامش. علّمتك الحياة وخلقتُ منك أسطورة، علّمتك كل شيء، وأنت الآن تهزأ بكل شيء، ما يجعل موازين العالم مضطربة. آه. ماذا تريد يا جلجامش، هل تريد جعل من الكهنة مهرّجين ومشعوذين يقفزون على الحبال؟ توقّف، توقّف. حزني عليك يا بني، حزني عليك جلجامش. ما زلت صغيراً، لكن ما تقوم به سيجعلك تعوف الحياة سريعاً. لهفي عليك جلجامش. حملتك على كتفيَّ صغيراً، وسأحملك عليهما جثّة نتنة، غير أني سأبكيك وأمنحك حبّي الأبدي. (ينتحب)

ظلام

الأغنية السادسة
أغنية الرفض

(بعض أعضاء الفرقة ورجال الدولة بأقنعتهم المختلفة وعدّتهم الحربية المتضخّمة، يخرّبون غرفة جلجامش، وكتبه وأشياءه الخاصة الأخرى. ينهبون ملابسه ويتقاسمونها في ما بينهم بصخب وحقد بحيث تتحوّل الغرفة خراباً. الكاهن على عربة الممثّلين الجوّالة يعطي أوامره. ورجال الدولة هم: كبير الحرس، أمين السرّ، التاجر، رئيس المحكمة، المفكّر بلا رأس والشاعر. وهذا كلّه يتمّ بالفحيح والهمس والسخرية وأحياناً نسمع الضحكات الداعرة العالية، ثم يصعدون العربة ويجمدون كالدمى. جلجامش في زاوية ينظر إليهم)

الممثّلة الأولى: اهرب أيها الظبي اهرب
(الملكة) فإذا حلّ الغضب
ليس هنالك قلب للرحمة
اهرب أيها الظبي.

الممثّلة الثانية: حبيبي لم يعد بين الأحياء، وبيته صار نهباً للرياح.
(الحبيبة) (يهدأ كل شيء، رجال الدولة ما زالوا يختصمون في اقتسام حاجيات جلجامش بصمت. وهذا كلّه يصبح خلفيّة لحوار الممثّل الرابع الذي يضع قناع الكاهن)

الممثّل الرابع: هذا ما يحدث مع ذلك الذي لا يصغي إلى قانون عصره،
(الكاهن) حتى وإن كان ابن ملك. فالحياة تتصدّع مرة واحدة كالمرآة عندما تسقط على صخرة صلدة، تتهشم ومن المستحيل رؤية ذواتنا فيها مرّة أخرى، وكذلك الخطأ: تلك الشبكة

اللعينة التي تجذب الإنسان إلى حبائلها دائماً (صمت ينظر حوله، يهمس) ها قد بدأ السلب والنهب ولن يتوقّف حتّى النهاية (يضحك ضحكة مكتومة هه هه هه، يهمس) لأن البشر مهووسون دائماً بالنهب (يختفي وسط الضجيج الذي يعلو من جديد)

رجال الدولة: (يعلنون) مشاهد مسرحية عن مطاردة الظبي وقتله.

الممثّلة الثانية: خذ خبز الحياة

(الحبيبة) خذ خضرة الحياة

حبيبي لم يعد بين الأحياء

وبيته صار نهباً للرياح.

(يختفي الجميع ما عدا الحبيبة والملكة وجلجامش)

الممثّلة الأولى: (مرتبكة) بنيَّ، إنها لعنة، لا بد من أن تطلب الغفران عن

(الملكة) هذا الذي فعلته، اذهب إلى الشارع وأعلن خطأ موقفك.

جلجامش: لا أستطيع يا أمّي، موقفي هو حياتي.

الملكة: إذاً اذهب إلى والدك الملك ليطلب بدلاً عنك رحمة المعبد.

جلجامش: تكفّنينني دائماً برداء الخذلان.

الممثّلة الأولى: بنيَّ اغفر لنفسك وحياتك، سيُهدر دمك، إنك لا تعي هذا،

(الملكة) اهرب يا بني، ارحل، لا بد من أن ترحل، فهذه الغابة مليئة بالوحوش، لا بد من أن تكون بعيداً فالجميع نطق بالكلمة التي تعذّب الروح وتحيل الجسد رماداً، اهرب.

جلجامش: كلا لن أرحل، ليس ثمة أرض غير أرضي، ولا هواء غير هذا الذي تنفّسته منذ الولادة.

الملكة: إنك تحيل حياتك جحيماً.

جلجامش: حياة القصر والمعبد التي تعيشينها هي الخراب والجحيم.

الملكة: أتجرؤ، كيف؟ هل نسيت من أنا؟

جلجامش: كلا لم أنسَ، أنت الملكة، ولم أنسَ أبداً أنكم جميعا اشتركتم بهذه اللعبة.

الملكة: إذاً أوقف نزيف غضبك.

جلجامش: (لنفسه) أوقف غضبي. ومن الذي سيحرقهم جميعاً.

الملكة: أخاف ألا ترى هذا في حياتك.

جلجامش: لكني سأراه بعد موتي.

الملكة: لا تنطق بالموت (تنوح، فتلتفّ حولها بعض فتيات القصر لمواساتها، فتتحوّل حركاتهن وأصواتهن إلى مناحة بابلية عراقية. مطاردة بحركة بطيئة يحاول الحرس فيها وهم بأسلحتهم الضخمة قطع الطريق أمام جلجامش بهدف قتله، لكن الممثّل الرابع - الكاهن ينقذه. وما سيأتي من حوار حتى نهاية المشهد يُصاحب المطاردة، وفي الختام يُفرد الكاهن جناحَيه لإنقاذه حتى يعطي لنفسه الحق في مطاردته هو بالذات. الجناحان نبتا إرادياً لتحقيق رغبة الكاهن بقتل جلجامش، ويستمرّ الكاهن بهذين الجناحَين حتى قتل جلجامش في النهاية)

الملكة: اهرب أيها الظبي
حتى لا تدع الغضب يحيلك رماداً.
اهرب، لكن تزوّد بعدّة السفر
وخبز الحياة والماء الزلال
فالصحارى قاسية.

اهرب، اهرب.
يا بنات القصر
هيئن للمسافر
وسادةً وخبزاً
وتمراً وكافوراً.
اهرب أيها الظبي.

الحبيبة: حبيبي لم يعد بين الأحياء
وبيته صار نهباً للرياح.

الملكة: هدوءاً كي لا تستثيروا
غضب المسافر وروحه القلقة
اهرب، أهرب
أيها الطفل الملكي الجميل.

الحبيبة: احموا أطفالكم... وأنفسكم.
غضب الفرات فمن سيردّه
سيلفّ الأم وطفلها في فضاء مريع
وسيحطم يانع الخضرة في حقول القصب
ويغري الحصاد إبّان نضجه
يمٌّ هائج
طوفان يطغى على الضفاف.
هل رأيتن حبيبي
هل سمعتن صوته؟
مهر جامح في البراري ولن يردّه أحد (صمت)
اسمعنه، ها هو ينادي

هو؟ أم أنها اللعنة في كل مكان؟
انظروا ألا ترين هذه الجبال النارية
بين السماء والأرض.
لكن الظباء خائفة
لأن حبيبي غائب.
من منا لا يرغب بالتمتّع بضوء القمر (تهمس)
إذاً لمَ هذه الرماح؟
لمَ هذا الضجيج؟
لمَ هذه القسّوة؟
(صمت)
سأجلب لك إكليل الزهر
هيّا يا صبايا خذن بركتي
كلّنا قساة غلاظ القلوب.
(الكاهن ينجح بحماية جلجامش ويتركه يهرب. يعلو الضجيج والنهب. الممثّلون يتحوّلون كلاباً شرسة وتعلو مناحة الملكة والفتيات)

ظلام

الأغنية السابعة

خطايا جلجامش تعرضها فرقة البيت المقدّس

(غرف شفّافة صغيرة موزّعة في الصالة وعلى خشبة المسرح. في كل غرفة واحدٌ من رجال الدولة، تصاحبه دمية مومس من مومسات عشتار المقدّسات لكن بعضهن من الرجال بكامل حركاتهم الأنثوية. ورجال الدولة هم: كبير الحرس، أمين السرّ، التاجر، رئيس المحكمة، المفكّر بلا رأس، والشاعر، بنياشينهم وأعلامهم وملابسهم وأقنعتهم التي توحي بشخصياتهم ووظائفهم بشكل مبالغ فيه. المومسات المقدسات يقمن بتدليك رجال الدولة كما في حمّام بخاري يصاحبه خوار حيوانيّ، لهاث، صراخ مخنوق يصدر منهم، يتعاملون غالباً مع مومساتهم باحترام مبالغ فيه. يتعطّرون وينثرون الزهور، ينبطحون على بطونهم بعهر ومن ثم يركعون لهن بتذلّل. الغرف مزهرة وجميلة، إنه الإغراء الذي يوحي بسعادة كاذبة تضفي على الماخور المقدّس شاعرية طقسية غريبة. تنتشر شارات عشتار المعروفة كجزء من الديكور. عشتار ذات الأبّهة والفخامة توحي كأنها مانيكان. كل شيء يعكس الزهو والرهبة والجمال المزيّف ويثير السخرية، وفي الوقت نفسه يوحي بجوّ المؤامرة المعدّ لها. يُقذَف جلجامش من هوّة في المسرح وكأنه في كابوس. الجميع يصمت ويتحوّل الضجيج إلى بانتوميم، وعندما تبدأ عشتار حوارها يقدّم رجال الدولة ومومساتهم استعراضاً للأجساد بحركات مخنّثة مبالغ فيها أمام عشتار. وجلجامش غير ملحوظ ومَلغ بتعمّد من رجال الدولة. الممثّلة الثانية والمهرّج الأول في مكان ما يشاهدان ما يدور بتلصص. الكاهن يقود كل شيء على المسرح)

الكاهن: (أثناء دخول جلجامش) ها هو الآن يدخل

الفردوس غير المقدّس،
في الغابة المدنّسة
ليمتثل أمام المحاكم المقامة
في بيت يتنافر فيه الظلام والنور،
ويلتقي المرأة المليئة بالأسرار
والخفية عن الفهم.
فيصوب أصحاب الدماء الباردة والضحك الغليظ،
عيونهم ليحترق
بلهيبها
وعندها يكون البدء
وتكون النهاية.

الممثّلة الأولى: تعال يا جلجامش ادخل خيمتي.
(عشتار) انزع عنك رداء الغضب
إنه سيف لا يحميك.
(تعال وكن عريسي الذي اخترت،
سأعدُّ لك مركبات من حجر اللازورد والذهب،
عجلاتها من الزمرد.
وفي بيتنا ستجد شذى الأرز يعبق فيه إذا ما دخلته.
سينحني خضوعاً لك الملوك والحكّام والأمراء
ورجال الدولة.
فاترك كلّ شيء وتعال، ادخل خيمتي.
وها هن الفتيات المقدّسات تحت خدمتك

جلجامش: أنت الكلمة التي تعذّب الروح

والباب الذي لا يصدّ الريح
وحالما يدخل رجال القصر الممسوسون بيتك
يصابون بلعنة الرذيلة
فيتحوّلون إلى مخلوقات نتنة لم تلدها أمّهاتها.
(يتوقف الاستعراض)

الممثّلة الأولى (عشتار): هأنذا أودّ أن أحميك وأُبعد عنك اللعنة، فأنا القادرة على كل شيء، لأني الابتداء والكمال. لكني أشعر ببرودة وجودي ووحدتي القاتلة، فكن حبيبي الذي اخترت.

جلجامش: أعرف خداعك، فأنت الأفعى التي تحرم الإنسان الراحة.

الممثّلة الأولى (عشتار): أنا الباب الذي يصدّ الريح، يأتمر الجميع بأمري. بكل اكتمالي أتجلّى فأعطي الدفء لهؤلاء أصحاب الدماء الباردة. فمن أنت يا جلجامش؟ ما أنت إلا روح هائمة لا تعرف مستقراً. ما أنت إلا الظبي الذي أحدّد مصيره متى أشاء. وسترى الآن يا جلجامش خطاياك التي ستلاحقك في كل زمان ومكان.

(موسيقى إيقاعية مناسبة، يصعد إلى عربة الممثّلين رجالُ الدولة ويقفون وقفتهم الرسمية الجدّية المضحكة مقدّمين التحية لبعضهم. العربة محاطة بأسلحة لمختلف العصور وبعضها معلّق عليها)

جلجامش: (أثناء تحيّتهم) ها هم الذين يتحكّمون بمصير أنبل البشر.

الكاهن: (بحيادية) خطايا جلجامش تقدّمها فرقة البيت المقدّس.

(يبدأ حوار رجال الدولة بهمس متحشرج يشوبه الحقد وهستيريا القتل، ثم يرتفع حتى يغدو صراخاً، هم يتناقلون الأخبار وكأنها أسرار محرّمة. يمكن للمخرج أن يضيف

خطايا أخرى بما يتناسب مع الحدث وزمنه)

الممثّل الأول: (رئيس المحكمة) بغفلة من الزمن، ومن دون جميع مخلوقات الكون، سرق النار المقدّسة.

الممثّل السادس: (أمين السرّ) وبهذا سنّ قانوناً جديداً للتمرّد والعصيان، مانحاً النار المقدّسة لأولئك الذين لا يستحقّونها (همس، تكرار بعض الكلمات، سرق النار... النار... هل سرق النار المقدّسة؟)

الممثّل الثاني: (التاجر) (إلى المفكّر بلا رأس) إنه ساحر ومشعوذ ودجّال كبير يدّعي المعرفة وينادي بدوراننا حول أنفسنا وحول الشمس.

الممثّل الخامس: (المفكّر بلا رأس) (يحمل رأسه دائماً بين يدَيه) لقد أتاح للجهلة والسوقة التدخّل بقدسية العلم والفكر ولم يتّعظ من عدم إيمان الناس بادّعاءات صاحبه الكافر الذي سبقه والذي أحرق بالمحرقة. (همس: دوراننا حول أنفسنا، هل ندور حول الشمس... الشمس؟ والأرض...)

الممثّل الرابع: (الكاهن) (إلى كبير الحرس) ولم يكتفِ بهذا، فهو يدعو في الناس بأن كل ما نملكه سرقة.

الممثّل الثاني: (التاجر) سرقة؟ اللعنة، هل سرقتُ أموالي؟ (همس: سرقة، أموالي، ممتلكات، سرقتُ، متى...)

الممثّل السادس: (أمين السرّ) (إلى رئيس المحكمة، بسخرية) يبحث في الجذور عن ثمار لا تنبت في أوان الفصل.

الممثّل الأول: (رئيس المحكمة) لا تنبت في أوان الفصل، كيف؟ عجيب، حقاً إنه مجنون (أصوات: مجنون، مجنون، مجنون)

الممثّل الخامس: (المفكّر بلا رأس) (إلى التاجر) كان منبوذاً، أعمى لا يرى في ضوء الشمس، حتّى أنه حمل مصباحاً وسط الظهيرة، داعياً الناس إلى

البحث عمّا لا يُرى. (ضحك متواصل لرجال الدولة)

الممثّل الثاني: (التاجر) (مستمراً في الضحك) البحث عمّا لا يرى. بالتأكيد إنه أعمى بصيرة (أصوات: أعمى بصيرة... بصيرة... أعمى... بصيرة)

الممثّل السابع: (كبير الحرس) (إلى الكاهن) قتلَ مضحك الملك، أليس كذلك؟

الممثّل الرابع: الكاهن مضحك الملك؟ آه. مضحك. نعم إنه القاتل. (أصوات تسري بينهم: قتل المضحك، قتل مضحك الملك... قتل...)

الممثّل السادس: (أمين السرّ) (ساخراً) وقال إن الوجود مرتبط بوعي الإنسان. ماذا تعني هذه الألغاز؟

الممثّل الخامس: (المفكّر بلا رأس) لأنه يفكّر... ها... آه يفكر! (يقلب باندهاش رأسه الذي يحمله).

أصوات: (بحقد وغضب وهستيريا) يُحجَر... نعم يُحجَر عليه في المستشفى... دجّال مشعوذ ساحر مجنون...

(رجال الدولة يجتمعون للتشاور، ومن ثم يُشهرون أسلحتهم المختلفة. في أثناء ذلك نسمع همساتٍ وفحيحاً وهمهماتٍ وحشرجاتٍ غير واضحة، ضحك مكتوم)

الممثّلة الأولى: (عشتار) ها هم يا جلجامش،ها هم الرجال الأشدّاء الذين سينطقون بالكلمة التي تعذّب الروح. إذاً تعال وادخل خيمتي المقدّسة لأن الحياة التي تبغي لن تجد. فحين خُلق الكون وخُلقت الحياة،أصبح لكل شيء قانونه، وكان الموت من نصيب الإنسان. فتعال خذ زهرة الحب.

جلجامش: أي خير سأناله لو دخلت خيمتك؟

(أنتِ؟ ما أنتِ إلا الموقد الذي تخمد ناره في البرد
أنتِ كالباب الخلفي لا يحفظ من ريح ولا عاصفة
أنتِ قصر يتحطم في داخله الأبطال
أنتِ قير يلوّث من يحمله
أنتِ نعل يقرص من ينتعله
أي من عشاقك من أحببته على الدوام؟)

الممثلة الأولى: يا عذارى مدينتي المقدّسات، لنوقف غضب جلجامش كي
(عشتار) لا يرتكب الخطأ الذي لا يُغتفر. غنّين له، اغسلن جسده بالعطور الطيّبة وبأريج الأرز والبخور.

جلجامش: تعالي أقصّ عليك مآسيك وخداعك والخزي الذي سيلاحقك في كل حين.

(يتقدّم رجال الدولة، وكل منهم يحمل رأسه بين يدَيه وفي مقدّمتهم المفكّر بلا رأس. يقدّمون رؤوسهم تحت قدمَي عشتار ثم يمسخون أنفسهم عندما يلبس كل منهم قناعاً لحيوان وحشي ويدخلون غرفهم الشفّافة)

جلجامش: ما الذي فعلت بهؤلاء أصحاب الدماء الباردة والضحك الغليظ؟ حوّلتهم إلى أمساخ، ينسجون وهماً وزيفاً، ويصرخون في مواخير الرذيلة ليل نهار، لكن أصواتهم صارت كعواء الذئاب حين تعادي القمر. فإذا دخلت خيمتك فستجعلين مصيري مثل هؤلاء.

الممثلة الأولى: (إلى رجال الدولة) خذوه فهو لكم.
(عشتار) (تختفي عشتار فجأة. رجال الدولة المسوخون يمزّقون

الغرف الشفّافة باحثين عن جلجامش. وفي النهاية يفرد الكاهن عباءته ليتيح فرصة الهرب لجلجامش والمهرّج الأول)

الممثّلة الثانية: حبيبي لم يعد بين الأحياء
(الحبيبة) وبيته صار نهباً للرياح.
هيا يا صبايا... خذن بركتي،
وأنتن يا حوريات البحار السبعة
لا تمزّقن أيديكن بسكاكين ذهب.
لا تصرخن... لدينا من النذور ما يكفي
والفرات يحرسنا.
هأنذا أوقد الشموع المزهرة...
واأسفاه حزين أنت وسط النخيل،
لا تخف إنه الندى يبلل الثغور،
ولا شيء... لا شيء غير هذا.
كثيرون ذهبوا
وكثيرون سيذهبون.
من المكان الذي أتينا إليه سنعود
(تقف جامدة تنظر الجمهور طويلاً)

ظلام

الأغنية الثامنة

العشاء السرّي

(صحراء موحشة خارج المدينة، عاصفة ترابية بالرغم من أن جميع الغرف المزّقة موجودة كجزء من المشهد. صوت العاصفة. جلجامش الذي يقاوم العاصفة والكاهن الذي يتبعه، كل منهما لا يرى الآخر)

الممثّل الرابع: (الكاهن) (يبحث، صارخاً) هه، يا سيّدي جلجامش أين أنت؟ احذر يا بني إنها عاصفة لعينة.

الممثّلة الثانية: (الحبيبة) (في زاوية تتمايل مع العاصفة وتقود الفرقة المسرحية التي يتحوّل أعضاؤها إلى عميان في هذه الصحراء، الجميع يتمايل) مشتاقون، معذّبون بكم، هل ما زلتم من دون سقف، ما الذي فعلنا وما الذي تفعلون؟ أين أنتم أين اختفيتم؟ لمَ كل هذا الضباب؟ لمَ كل هذا العذاب؟ لمَ كل هذه الغشاوة؟

الممثّل الرابع: (الكاهن) (إلى الجمهور) تعساء هؤلاء الذين تعي قلوبهم الحقيقة بعد فوات الأوان. فغصن الشجرة عندما ينكسر كالجرح الذي لا يندمل، يظلّ متعفنا على مرّ الزمن. (باحثاً) هه، سيّدي جلجامش أين أنت، أين أنت يا سيّدي؟ احتم من العاصفة.

الممثّلة الثانية: (الحبيبة) أحقيقة هذا الذي يحدث؟ كيف أصبحتم بهذه القسوة؟ لا أصدق، لا، لا أصدق.

الفرقة: مشتاقون... مشتاقون.

الممثّل الرابع: (الكاهن) لكن يجب أن نضع حدّاً لهذه المهزلة، هذه الوليمة السرّية، إنها شهقته الأخيرة التي ستتحوّل حشرجة مميتة، إذاً يجب

أن أجده (يصرخ) لا تختفِ يا سيّدي، إنك تهيم على وجهك بلا مأوى، أين أنت يا سيّدي؟

جلجامش: (بعدما مشيت
في طرقات الحياة
وطرقتُ أبواب هذا العالم
أأضع رأسي في باطن الأرض لأنام؟)

الكاهن: عد يا سيّدي، يا سيّدي جلجامش أين أنت؟

الممثّلة الثانية: (الحبيبة) مشتاقون. سيأتي الشتاء وأنتم بعيدون، فبماذا يحتمي الغريب في غربته؟

جلجامش: هل هذه الروح على يقين مما تختار؟ وإذا كان الإنسان يبغي النجوم البعيدة فهذا هدف أسمى وجليل، لكن من أين تأتي هذه القوة اللعينة التي تشدّه نحو الأرض لتُغرقه في المستنقعات العفنة ومن ثم تُرديه؟

الممثّل الرابع: (الكاهن) (يبحث) يجب ألا تبتعد كثيراً يا سيّدي. هه... سيّدي جلجامش؟

جلجامش: (أيها الموت، أيها القبطان القديم، لقد آن الأوان، لنرفع المرساة فهذا العالم يُضجرنا)

الكاهن: أين أنت يا سيّدي أين أنت؟

الحبيبة: مشتاقون لا تنسونا حتى لا نتحوّل إلى جذوع أشجار يابسة.

جلجامش: أيتها الإرادة، أيها الجمال، أيها الشعاع الذي يبزغ في داخلي، هأنذا أضع حياتي ثمناً من أجل أن يلامس النور ندى الروح فينقشع الظلام. ليت الذي يموت يرى ضياء الشمس.

الكاهن: (يرى جلجامش، لنفسه) والآن يا جلجامش عليك مواجهة

المصير الذي اخترت، يجب أن تنتهي هذه اللعبة حتّى يبتدئ الفعل (إلى جلجامش) سيّدي جلجامش... سيّدي.

جلجامش: ما الذي تبغيه أيها الكاهن؟ أعلم أنك تلاحقني منذ أن ولدت.

الممثّل الرابع: لا شيء لا شي يا سيّدي فقط أريد أن أكمل دوري حتى النهاية،

(الكاهن) فقد مللت ملاحقة نزواتك.

جلجامش: إنني تعب اتركني (يتكئ على سلّمَين متقاطعَين كالصليب)

الممثّل الرابع: لأننا لعبنا كثيراً يا سيّدي، وقد حان وقت نزع هذه الأقنعة

(الكاهن) للوقوف عراة أمام مصيرنا، عليَّ الانتهاء من دوري هذا.

جلجامش: انتهى دورك منذ زمن بعيد يا زارعاً فيَّ تربة أرفضها الآن.

الممثّل الرابع: بل الآن بدأ. فلكل مرحلة في حياتي دور جديد، فأنا العراف

(الكاهن) والكاهن ومربّي أطفال الملك وزارع تربتي فيك، حملتك على كتفيَّ، وهدهدتك وأنت على فراش الأحلام، وغنّيت لك الأغاني الجميلة، وحكيت لك الحكايات التي كنت تودّ سماعها قبل أن تغفو. هل تذكر حكاية المزامير؟ كنت تحبّها كثيراً يا سيّدي.

جلجامش: قل ما الذي تبغي أيها الكاهن؟

الكاهن: أن أزيل عنك التعب وأُدخل السرور إلى قلبك.

جلجامش: أنت! هه... هه، لن تستطيع ذلك أبداً.

الكاهن: اسمع مزامير طفولتك وهي تطرق أبواب عالمك من جديد.

جلجامش: لن تعود، لأن طفولتي مرّت كالهواء بين الأصابع.

الممثّل الرابع: اسمع مزاميرك يا سيّدي، اسمعها فهي قدرك.

(الكاهن) (تُضاء إنارة على عربة الممثّلين وعليها رجال الدولة بمن فيهم عشتار وهم بملابسهم الرسمية يحملون مختلف الأسلحة، نسمع همس العاصفة) اسمع يا سيّدي:

هنالك في الجنوب مدينة
جميلة... جميلة
تستيقظ مع الفجر
لأن ناسها طيّبون
يحملون الزهور
وهم سعداء... سعداء
في مدينتهم الجميلة.
وفي أحد الأيام
سمع الناس فحيحاً كالصرير
صرير... صرير
يضجّ في السمع
عندها شاهدوا
طرقات المدينة
وقد امتلأت بالفئران
وهي تتكاثر وتكبر وتكبر
تلتهم كل شيء

رئيس المحكمة: كل شيء؟!
أمين السرّ: الطعام.
التاجر: والأبواب والنوافذ.
المفكّر بلا رأس: والأطفال الرضّع.
الكاهن: والبشر الضعاف.
كبير الحرس: والمجانين.
المفكر بلا رأس: والمثقفون الكسالى.

عشتار: حتى بدأت تنتفخ، تكبر وتكبر.

التاجر: وتأكل كل شيء.

الكاهن: حتى امتنع الناس عن العمل ومعايشة الحياة، وحُرموا النوم في ليل النجوم الجميلة، في مدينة الشمس.

(يتلصّص رجال الدولة على جلجامش بمن فيهم الكاهن المستمرّ في سرد حكايته، فيتحوّل المشهد إلى مصيدة للغدر بجلجامش. يتوزّع رجال الدولة، يختفون ويظهرون في زوايا المسرح والإنارة تمنحهم غرابة تؤكّد أدوارهم، وهسيس العاصفة لم يزل)

ومع الفجر الندي

هبط شاب بطلعته الجميلة

من الجبال حاملا مزماره.

هبط في المدينة التي لا تغرب عنها الشمس.

(إلى جلجامش) يجب أن تموت يا سيّدي

لأن مدينتنا لا تتحمل أبطال ملاحم. (يبكي)

(يعود إلى الحكاية ورجال الدولة ما زالوا في محاولتهم لمحاصرة جلجامش)

وقف الشاب الجميل وسط المدينة

يعزف بالمزمار لحناً جميلاً

فتجمّعت حوله الفئران تستمع وتستمتع

وتكبر وتتكاثر.

وسار العازف نحو البحر

والفئران تصاحبه وتصغي إلى لحنه الجميل.

وعند شاطئ البحر
عند الشاطئ...
(إلى جلجامش) يجب أن تموت يا سيّدي
فالحكاية عندما تبدأ لا بدّ من أن تنتهي
يجب أن تموت.
(يعود إلى سرد الحكاية) وعند شاطئ البحر التفت الشاب الجميل الطلعة إلى الوراء وفكر
هل يعود إلى وسط المدينة والفئران تتبعه
أم يدخل معها إلى البحر وينقذ المدينة؟
وفي النهاية قرّر
وسار الشاب الجميل الطلعة
سار على سطح الماء
يعزف بمزماره وخلفه الفئران
تصغي وتستمتع إلى لحنه الجميل
حتّى دخلوا جميعاً في موجات البحر العاصفة.
ثم بدأ السكون يعمّ كل شيء
هدوءاً... هدوءاً... هدوءاً...
(إلى جلجامش وهو يبكي) يجب أن تموت يا سيّدي
فمثلك بطل ملعون يحمل صليبه كشاهد عصر
(رجال الدولة يحاصرون جلجامش، والكاهن يطعنه بالرمح الطعنة القاتلة. تهدأ العاصفة. صمت. رجال الدولة يعلّقون جلجامش على خلفيّة المسرح برماحهم ويصعد بعضهم إلى العربة وآخرون يدفعونها وبصمت يخرجون كأنهم أنجزوا مهمّة صعبة.

الحبيبة تحتضن جلجامش كما المسيح)

جلجامش: (وهو يموت) ليتني أستقبل الموت دون حزن ودون رهبة
كما تستقبل الشجرة العاصفة
دون أوراق ودون صراخ
هأنذا أتلاشى وأغيب
أنا الشجرة التي لا تملّ الثمار
أنا المصير الذي ينتظر الكثير من البشر.
أنا الشاهد الملعون
لكن قلبي جوهرة خضراء
لذا سأعود كما كنت
فيولد البطل مرّة أخرى
وتولد المأساة من جديد (يموت)

(الكاهن يخلع جناحَيه ويرتفع صوت بكائه، الممثّلون يتقدّمون إلى جلجامش في محاولة لإنزاله، يجمد المشهد ويتحوّل الجميع دُمىً)

ظلام

بغداد – صوفيا 1980